بسم الله الرحمن الرحيم

موقف الإسلام من الشعر

دكتورة

وفاء مصطفى أبو السعود

المدرس بقسم الأدب والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

بالإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

موقف الإسلام من الشعر

الحديث عن موقف الإسلام من الشعر من القضايا التى أثارها الباحثون القدماء والمحدثون حول الشعر فى صدر الإسلام ، فى الطور الأول قضيتان : الأولى موقف الإسلام من الشعر ، والثانية ضعف الشعر فى هذا الطور فأمّا القضيّة الأولى فمجال البحث فيها ما جاء فى القرآن الكريم من ذكر للشعر والشعراء ، وما قد يفهم منه عند البعض من عداوة الإسلام للشعر ، وما روى عن النبى ﷺ فى هذا الشأن ، ثم ما أثر عن الصحابة من قول أو رأى فى الشعر والشعراء ، وأما القضية الثانية فمجال البحث فيها آراء العلماء والباحثين التى قيلت حول ضعف الشعر فى صدر الإسلام ومناقشتها بغرض الوصول منها أو بها إلى رأى يضيف جديداً أو يؤكد قديماً رؤيت صحته والأخذ به .

فحين نبحث عن موقف الإسلام من الشعر نجد انقسام الباحثين فى بيان الموقف الحقيقى للإسلام من الشعر ، فذهب البعض منهم إلى أن الإسلام شجع الشعر وأذكى جذوته وأشعلها إشعالاً [1] . وذهب البعض الآخر إلى أن الإسلام حمل حملة عنيفة على الشعراء [2] . وحجج كلا الفريقين تستند إلى معيار جديد وضعه الإسلام للشعر لتمييز الجيد من الردئ ، ذلك هو النهج الخلقى الذى دعا إليه

---

(١) تاريخ الأدب العربى العصر الإسلامى ، شوقى ضيف ص ٤٦ الطبعة الثامنة عشرة دار المعارف .

(٢) تاريخ العلامة عبد الرحمن بن خلدون ص ١١٢٢ ، دار الكتابى اللبنانى بيروت - لبنان ١٩٨٢ . وكذا الشعر العربى بين الجمود والتطور محمد عبد العزيز الكفراوى ص ٣٩ دار النهضة مصر للطبع والنشر القاهرة . الطبعة الرابعة ١٩٦٩ م .

الإسلام ، فما اتفق وخلق الإسلام ، وواءم روح الدين كان من الشعر ، وهو معيار نظروا بموجبه للشعر نظرة لا تختلف عن نظرة الإسلام لقضايا المجتمع العامة ، فَقَوَّمُوا الشعر على أنه فكرة مجردة من العناصر الفنية دون التفات إلى ما يمكن أن تثيره تلك الفكرة من أحاسيس واستجابات فى المشاعر الإنسانية . غير أننى وجدت بعض الإشارات التى يمكن أن تساعدنا فى تكوين تصورا لموقف الإسلام من الشعر من الناحية الفنية وهو موقف يختلف عن الموقف الأخلاقى .

وأول ما يطالعنا بهذا الصدد ، موقف القرآن الكريم من الشعر . إذ نجد أنه قد ذكر لفظ « الشاعر » أربع مرات فى أربع آيات ، كما ذكر لفظ « الشعر » فى آية واحدة ، وتحدث عن « الشعراء » فى آية واحدة ، ومن ثم يكون جملة ما تحدث به القرآن الكريم مشيراً إلى الشعر والشعراء ست آيات .

وفى الآيات الأربع التى ورد فيها لفظ « الشاعر » نجدها إمَّا تشير إلى ما قاله المشركون فى وصف النبى ﷺ بأنه شاعر ، وإما تنفى عنه صفة الشاعرية ، ولقد أشار القرآن الكريم فى ثلاث آيات منها إلى وصف المشركين الرسول ﷺ بالشاعر وهى قوله تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾ (١) وقوله عز وجل : ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ﴾ (٣). وأما نفى الشاعر عن الرسول ﷺ فقد ورد فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ

(١) سورة الأنبياء الآية ٥ .
(٢) سورة الصافات الآية ٣٦ .
(٣) سورة الطور الآية ٣٠ .

شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ (١) ، كما ورد لفظ « الشعر » في قوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢) .

وواضح من هذه الآيات جميعها أن الله تعالى يريد أن ينفى عن النبى ﷺ أن يكون شاعراً (٣) ، كما ينفى أن يكون القرآن شعراً ، وواضح أن المشركين إنما وصفوا الرسول ﷺ بصفة الشاعرية لأنهم سمعوا منه ما نُزِّل عليه من الوحى ، وكان هذا الوحى ذا وقع غريب فى نفوسهم فاحتاروا فى أمره ودفعتهم حيرتهم إلى صرفه إلى ما ألفوه من أصناف الكلام المؤثر وهو الشعر وسجع الكهان ، ومن هنا وصفوا النبى ﷺ بالشاعرية تارة وبالكهانة تارة أخرى (٤).

وهذه الآيات التى تناولت وصف الشاعريةً أو نفيها لا تتحدث عن الشعر ولا تمسه من حيث هو شعر بخير أو بشر ، وإنما جاءت لغاية هى إبطال مزاعم المشركين من أن الرسول ﷺ شاعر وأن ما يبلغ به من الوحى شعر ، أما لماذا نفى الله عن رسوله صفة الشاعرية ، وأكد أن ما جاءبه من القول الحق بعيد كل البعد عن الشعر ؟ فذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ (٥) .فإن هذه الآيه لا تحتمل تنفيرا من الشعر كما زعموا لأن الله سبحانه وتعالى ، إنما بعث رسوله أمياً غير شاعر إلى قوم يعلمون منه حقيقة ذلك حين استوت الفصاحة واشتهرت البلاغة آية للنبوة وحجة على الخلق وإعجازاً

(١) سورة الحاقة الآية ٤١ .
(٢) سورة يس الآية ٦٩ .
(٣) فى الشعر الإسلامى والأموى عبد القادر القط ص ١١ دار النهضة العربية للطباعة والنشر . بيروت ١٩٧٩ م .
(٤) قوله تعالى : « فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ » سورة الطور الآية ٢٩ .
(٥) سورة يس الآية ٦٩ .

للمتعاطين [1] ». وقد يكون ما عرف به الشعر من الميل إلى الإدعاء والمبالغة ، وما اشتهر به الشعراء من الجنوح إلى الخيال والأوهام والتهويل من أسباب تنزيه الله رسوله ﷺ عن أن يكون شاعراً [2].

فالرسول ﷺ حين تحدى العرب بالقرآن فأعجزهم ، وهم أهل الفصاحة والبيان زعموا أنه شاعر وإن القرآن من قبيل الشعر لما فى قلوبهم من هيبة الشعر وفخامته ، وأن اعجازه قد جاء من هذه الناحية مع أن القرآن الكريم واضح المباينة للشعر لفظاً ومعنى لخلوه من الوزن والقافية ، ومغايرته لنظم الشعر وأسلوبه ، وبعده من الكذب والتخييل وتزوير القول ، وكيف يكون القرآن شعراً وما كان النبى ﷺ شاعراً ، فما علمه الله سبحانه وتعالى الشعر وما يصح له ولا يتأتى له لو طلبه ولا يليق بجليل شأنه وعالى قدره أن يكون مجرد شاعر من الشعراء ، وفى هذا نفى للشعر عن النبى ﷺ وتنزيه للقرآن تبعاً لذلك عن أن يكون شعراً فما هو إلا حكم وعقائد وشرائع وهدى وموعظة حسنة وذكر للعالمين ، وقرآن من لدن رب العالمين . وليس فى نفى الشعر عن النبى ﷺ غض من قدر الشعر وهذا ما أوضحه أبن رشيق حين قال : « ولو أن كون النبى ﷺ غير شاعر غضٌ من الشعر لكانت أميته غضاً من الكتابة وهذا أظهر من أن يخفى على أحد [3].

ويقرر كثير من المفسرين أن الآية لا تحتمل تنفيراً من الشعر أو تهجيناً للشعراء ، من ذلك ما رواه يونس عن الزهرى أنه قال فى تفسيره : معناه :

(١) العمدة لابن رشيق تحقيق وشرح مفيد محمد قميحة جـ١ ص ١٦ .
(٢) تفسير العلامة أبى السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المجلد الرابع ص ٣٩٥.
(٣) العمدة لابن رشيق تحقيق وشرح مفيد محمد قميحة جـ١ ص ١٧ .

ما الذى علمناه شعراً ، وما ينبغى له أن يبلغ عنا مالم نعلمه ، أى ليس هو ممن يفعل ذلك لأمانته ، ومشهور صدقه [1]. وقد أوضح ذلك الدكتور عبد القادر القط حين قال : « وليس من العسير تعليل تأكيد القول بأن الرسول ﷺ ليس شاعراً فى القرآن الكريم ، فمن المعروف أن العرب كانوا يظنون بعقول الشعراء الظنون فيعتقدون أحياناً أن بهم مساً من الجن أو أن بعض الشياطين يوحون إليهم بما جرى على ألسنتهم من شعر وتلك حقائق ـ لو لصقت بالرسول صفة الشاعر ـ جديرة بأن تناقض معنى الرسالة ، ومن المعروف كذلك أن كثيراً من الشعراء فى الجاهليّة قد عرفوا بمسلك خلقى يتسم بكثير من الإسراف فى اللهو والإقبال على الملذات المادية من خمر وميسر وغير ذلك ووصف الرسول ﷺ بالشاعريّة يلقى عليه ظلالاً من هذه الأشياء التى عرف بها الشعراء ومن ثم كان نفى الشاعرية عنه ـ ﷺ ـ أمراً حتمياً تفرضه المعانى السامية التى جاء بها الدين الحنيف [2].

على أن الموضع الوحيد الذى نجد فيه للقرآن موقفاً خاصاً هو آيات وردت فى سورة الشعراء فى قوله تعالى : ﴿ والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ ﴾ [3] فقد استند الباحثون الذين ادعوا أن القرآن الكريم هاجم الشعر وذم الشعراء وعرض بهم إلى ظاهر هذه الآيات فقد توهم هؤلاء أن الإسلام يحارب الشعر ويذم الشعراء جملة والحق أن الآيات الكريمة لا تقصد إلى تهجين الشعر بعامة وذم الشعراء أجمعين فالاستدلال بها على الذى

---

(١) المصدر نفسه جـ١ ص ١٦ ، ١٧ .

(٢) بتصرف ـ فى الشعر الإسلامى والأموى ، عبد القادر القط ص ١١ وما يليها دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ـ ١٩٧٩م .

(٣) سورة الشعراء الآيات ٢٢٤ ـ ٢٢٦ .

ذهبوا إليه تعميم خاطئ ، وتأويل للآيات على غير وجهها الصحيح [1]، ذلك أن أولى الأقوال بالصواب فى تأويلها ما ذهب إليه أهل التأويل من المفسرين من أن المراد بالشعراء المذمومين فى الآية الكريمة شعراء المشركين عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن وهب المخزومى ، ومسافع بن عبد مناف ، وأبو عزة الجمعى ، وأمية بن أبى الصلت قالوا : نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعوا إلى أشعارهم وأهاجيهم وهم الغاوون الذين يتبعونهم [2].

وتعلل الآية لهذا الحكم بأن هؤلاء الشعراء « فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ » أى أنهم يذهبون فى شعرهم على غير قصد بل يجورون عن الحق ، وطريق الرشاد ، وقصد السبيل ، وهذا كما جاء فى تفسير الطبرى « وإنما هذا مثل ضربه الله لهم فى افتنانهم فى الوجوه التى يفتنون فيها بغير حق فيمدحون بالباطل قوماً ويهجون آخرين كذلك بالكذب والزور » [3].

ويقول أبو السعود العمادى فى تفسيره : « إن هذا القول مسوق لإبطال ما قالوا فى حق القرآن العظيم من أنه من قبيل الشعر وأن رسول الله ﷺ من الشعراء

---

(١) حضارة الإسلام تأليف الأستاذ جوستاف ا. فون جرونيباوم ، نقله إلى العربية الاستاذ : عبد العزيز توفيق جاويد ـ راجعه الأستاذ : عبد الحميد العبادى ص ٦٠ نشرته مكتبة مصر للطباعة ، وكذا الأدب فى صدر الإسلام وعصر بنى أمية أ.د: أحمد عبد الغفار عبيد ص ٢١، ٢٢، ١٩٩٦ .

(٢) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ، العلامة المرحوم أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود شكرى الألوسى البغدادى جـ ١٩ ص ١٤٦ ادارة الطباعة المنيرية دار إحياء التراث العربى بيروت ـ لبنان .

(٣) جامع البيان فى تفسير القرآن تأليف أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المجلد التاسع جـ١٩ ص ٧٨ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان .

ببيان حال الشعراء المذافية لحاله عليه الصلاة والسلام بعد إبطال ما قالوا إنه من قبيل ما يلقى الشياطين على الكهنة من الأباطيل بما مر من بيان أحوالهم المضادة لأحواله علية الصلاة والسلام »[1].

ومما يدل على أن المعنّى بالشعراء فى الآية شعراء المشركين خاصة قوله بعد هذا التعليل ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ، استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله عزوجل ويكون أكثر أشعارهم فى التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته ولو وقع منهم فى بعض الأوقات هجو وقع ذلك منهم بطريق الانتصار ممن هجاهم بدليل قوله تعالى بعد ذلك : « وانتصروا من بعد ما ظلموا » ، أى انتصروا ممن هجاهم من شعراء المشركين ظلماً بشعرهم وهجائهم إياهم ، وإجابتهم عما هجوهم به [2].

ولقد تناول ابن رشيق فى كتابه العمدة هذه الآيات ، بقوله : « فأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى ﴿ والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ ﴾ فهو غلط وسوء تأول لأن المقصودين بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله ﷺ بالهجاء ومسوه بالأذى فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل فى شئ من ذلك ألا تسمع كيف استثناهم الله عزوجل ونبه عليهم فقال : ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً وَانتَصَرُواْ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾

(١) تفسير العلامة أبى السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المجلد الرابع ص ١٨٣ دار الفكر .

(٢) تفسير العلامة أبى السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المجلد الرابع ص ١٨٤ دار الفكر .

يريد شعراء النبى ﷺ الذين ينتصرون له ويجيبون المشركين عنه كحسان بن ثابت [١]. وكعب بن مالك [٢] وعبد الله بن رواحه [٣] ، [٤].

---

(١) هو حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام فحل من فحول الشعراء المخضرمين وهو شاعر الرسول ﷺ ، انظر فى ترجمته طبقات فحول الشعراء تأليف محمد بن سلام الجمحى (٢٣١هـ) قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، السفر الأول ٢١٥ وكذا الأغانى تأليف أبى فراج الأصفهانى على بن حسن جـ٤ ص ١٣٤ وما بعدها مصور عن طبعة دار الكتب مؤسسة جمال للطباعة والنشر وكذا الشعر والشعراء تأليف أبى محمد عبر الله بن مسلم بن قتيبة جـ١ ص ٢٢٣ نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت ـ لبنان، وكذا الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر تحقيق على محمد البجاوى القسم الأول ص ٣٤١ مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، الفجالة ـ مصر.

(٢) كعب بن مالك الأنصارى شاعر من شعراء المسلمين المعدودين : قال عنه ابن سلام فى معرض حديثه عن شعراء القرى العربية : إنه شاعر مجيد انظر فى ترجمته طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى ص ٢٢٠ وكذا الأغانى لابى فرج الأصفهانى جـ١٦ ص٢٢٦ وكذا الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر تحقيق على محمد البجاوى القسم الثالث ص ١٣٢٣ ، وكذا الإصابة فى تمييز الصحابة تأليف أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بم حجر العسقلانى تحقيق على محمد البجارى جـ٥ ص ٦١٠ـ٦١٢ ، وكذا تهذيب التهذيب تأليف أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن حجر العسقلانى جـ٨ ص ٤٤٠ نسخة مصورة عن مطبعة حيدر أباد الدكن ١٣٢٦هـ فى دار صادر بيروت ١٩٦٨م.

(٣) عبد الله بن رواحه الأنصارى شاعر إسلامى من شعراء عصر الإسلام المعروفين : ممن كان لهم شرف الذود عن الرسالة وهو خال النعمان بن بشير وصاحب المناقب المذكورة فى الإسلام والأيام المشهورة قال عنه أبن سلام ، عظيم القدر فى قومه ، سيد فى الجاهلية ، ليس فى طبقته التى ذكرنا أسودمثله ، انظر فى ترجمته الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر تحقيق محمد البجاوى القسم الثالث ص ٨٩٨ وكذا المؤتلف والمختلف أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى (٣٧٠هـ) تحقيق عبد الستار أحمد فراج ص ١٨٤ دار إحياء الكتب العربية ١٩٦١م وكذا صفوة الصفوة جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى (٥٩٧هـ) جـ١ ص ١٩١ـ١٩٢ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد الدكن الهند الطبعة الأولى ١٣٥٥ هـ ، وكذا أسد الغابة فى معرفة الصحابة : عز الدين أبو الحسن الجزرى بن الأثير (٦٣٠هـ) تحقيق محمد إبراهيم البنا ، ومحمد أحمد عاشور ، جـ٣ ص ٢٣٥ دار الشعب القاهرة ١٩٧٠ ، وكذا شرح شواهد المغنى جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (٩١١هـ) تحقيق أحمد ظافر كوجان القسم الأول ص ٢٨٧ـ٢٨٨ لجنة التراث العربى دمشق ١٩٦٦ م ، وكذا حسن الصحابة فى شرح أشعار الصحابة ـ جبابى زاده على فهمى جـ١ ص ٣٥ مطبعة سيى ـ ١٣٢٤هـ ، وكذا طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى قرأه وشرحه محمود شاكر القسم الأول ص٢٢٣ .

(٤) العمدة فى صناعة الشعر ونقده تأليف أبى الحسن بن رشيق القيروانى (٤٦٣هـ) =

ويعزز هذا الفهم للآية الكريمة ما روى أنه لما نزلت هذه الآية ، جاء حسان بن ثابت ، عبد الله بن رواحه ، وكعب بن مالك وهم يبكون ، فقالوا : يا رسول الله لقد أنزل الله تعالى هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء . هلكنا . فأنزل الله تعالى ﴿ إِلاَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ فدعاهم النبى ﷺ فتلاها عليهم [1].

ومن هنا نستطيع أن نقول إن موقف القرآن الكريم من الشعر ينبع من موقف الشعراء أنفسهم وهم فى هذا فريقان : فريق بعد عن الحق والصواب ووقف بشعره يصدُّ عن سبيل الله ويهجو رسول الله ﷺ وصحابته ، وفريق آمن بالله ورسوله ﷺ وعرف طريق الحق ووقف يدافع عنه وعن مبلغه ، راداً كيد الشعراء المشركين إلى نحورهم ، ومما لا شك فيه أن شعر الفريق الأول ممقوت عند الله مأزور ، وشعر الفريق الثانى مقبول مأجور .

ومن هنا يمكن أن نقرر بإطمئنان أن القرآن الكريم لم يصدر حكماً معيناً عن الشعر كفن ، ولم يتخذ من الشعر موقفاً خاصاً . عند ذلك نكون قد حققنا مسألة طالما التبست على على بعض الباحثين - فى عدم التمييز بين الشعر والشاعر ، فأخذوا الشعر بحكم الشاعر وهو حكم فيه من التعسف الكثير . هذا ما يمكن أن يخرج به الدارس من موقف القرآن الكريم من الشعر .

وفى ضوء هذا الموقف جاءت أقوال الرسول ﷺ فى الشعر فقد روى عنه ﷺ أنه قال : « إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن ومالم يوافق الحق منه فلا خير فيه [2] » .

= تحقيق وشرح مفيد محمد قميحه جـ١ ص ٢٣ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .

(١) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى العلامة الفضل شهاب الدين السيد محمود شكرى الألوسى البغدادى جـ١٩ ص ١٤٧ .

(٢) العمدة لابن رشيق تحقيق وشرح مفيد محمد قميحة جـ ١ ص ٢٠ .

وقد قال عليه الصلاة والسلام « إنما الشعر كلام فمن الكلام خبيث وطيب [1] » . ولم يظهر للرسول ﷺ موقف خاص من الشعر إلا فى أمرين : الأول نهيه ﷺ عن رواية الشعر الذى يذكر الأعراض ويثير كوامن الأحقاد والضغائن ويشيد بالعصبية والأنساب ، والثانى محاربته غلبة الشعر على قلب الإنسان حتى يشغله عن دينه ، وإقامة فروضه ويمنعه من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن الكريم وذلك فى قوله ﷺ « لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعراً [2] » .

فأما الأمر الأول فواضح أن النبى ﷺ لا يشمل بنهيه كل الشعر وإنما هو خاص بالشعر الذى يثير الأحقاد ويحرك الضغائن لأنه يرجع العرب إلى ما كانوا عليه قبل الإسلام من بغضاء وعصبية هو جاء وهم أصبحوا فى غنى عنها بعد أن أتم الله عليهم نعمة الإسلام وصاروا أخواناً يشد بعضهم من أزر بعض فالأوس والخزرج مثلاً كانت بينهم حروب قبل الإسلام وقد قام بهذه الحروب مساجلات شعرية لشعراء القبيلتين ، فيه فخر وعنجهية وعصبية بغيضة ، فرواية هذا الشعر فى الإسلام - بعد أن أصبح أهل القبيلتين أنصاراً لرسول الله ﷺ - يعد هتكاً وتقطيعاً للوشائج المتينة التى ألفت بين قلوب القبيلتين ، وضرباً لما يدعو إليه الإسلام من توحد .

---

(٢) المصدر نفسه جـ١ ص ٢٠ .

(٣) العمدة فى صناعة الشعر ونقده تأليف أبى الحسن بن رشيق القيروانى تحقيق وشرح مفيد محمد قميحة جـ١ ص٢٣ ، وكذا روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للعلامة المرحوم أبى الفضل محمود شكرى الألوسى البغدادى جـ١٩ ص١٥٠ ، وكذا الأدب فى صدر الإسلام وعصر بنى أميه - أ.د.أحمد عبد الغفار عبيد ص ٢٣-٢٤ .

ومن هنا كان النهى عن رواية مثل هذا الشعر ضرورة تفرضها أهداف الإسلام العالية ومرامية السامية . وهو نهى لا يخرج عن المنهج الذى حدده الرسول ﷺ للشعر فى قوله السابق ، لأن هذا الشعر غير موافق للحق ، وما دام كذلك فيجب أن ينهى عنه ، وأن يحارب وأن يغيب عن المجتمع الجديد الذى أراده الله لعباده المسلمين [1] وأما الأمر الثانى الخاص بحديثه ﷺ ، لئن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريَه خير له من أن يمتلئ شعراً ، فالرسول ﷺ - كما قلنا - يحارب فيه غلبة الشعر على قلب الإنسان حتى يشغله عن دينه وإقامة فروضه . ويمنعه من ذكر الله وتلاوة القرآن الكريم وغير ذلك من أعمال الخير والشعر هنا - كما يقول ابن رشيق - سواء بسواء مع كل ما يجرى هذا المجرى من شطرنج وغيره ، وأما غير ذلك ممن يتخذ الشعر أدباً وفكاهة وإقامة مروءة فلا جناح عليه [2].

فليس الشعر كله مذموماً ، وليس المذموم منه مذموماً لأنه شعر ، فما الشعر إلا كلام الحسن والقبح فيه راجعان إلى المعنى وما دام المعنى جميلاً فالمنظوم أكثر جمالاً وأحسن مثالاً ، فالمذموم منه نوع خاص للأسباب التى تقدمت ، أما ما عداه فحسن ومحموداً [3]، مثله مثل الفنون الأخرى التى تفيد الإنسان المسلم وتقوى من روحه وتزيده فكراً ومعرفة كما تفيد مجتمع الإسلام ، وترقى به إلى أداء رسالته العظمى فى الحياة .

---

(١) الشعر الأموى دراسة فى التقاليد والأصالة الأدبية محمد فتوح الناشر مكتبة الشباب ١٩٨٣م

(٢) العمدة فى صناعة الشعر ونقده تأليف أبى الحسن بن رشيق القيروانى تحقيق مفيد محمد قميحه جـ١ ص٢٣ ، وكذا إحياء علوم الدين للإمام الغزالى مع مقدمة فى التصوف الإسلامى ودراسة تحليلة لشخصية الغزالى فى الإحياء بقلم الدكتور بدوى طبانة جـ٣ ص ١٢٣٢ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه .

(٣) العمدة لابن الرشيق تحقيق وشرح مفيد محمد قميحة جـ١ ص ٢٠ .

ولقد كانت مواقف النبى ﷺ من الشعراء وفق هذا المنهج الذى انتهينا إليه ، فقد أباح لهم قول الشعر ، واستمع إليه منهم ، وأشاد به ، وأثاب عليه ، ودعا لقائليه ، وأخباره وأقواله فى هذا الشأن كثيرة .

فالرسول الكريم بُعثَ لهداية الإنسانية فكان من الطبيعى أن يحدد موقفه تجاه شؤون الحياة المختلفة ، وأن يحرص على تجنيد كل الإمكانات - والشعر منها - لخدمة الرسالة ، ومع ذلك فإننا نلمس فى حديثه الشريف التذوق للشعر ، والفهم الواعى له كقيمة فنية . فعندما اشتدت المعركة بين الرسول ﷺ وقريش فإنه لم يجد حرجاً فى أن يستنهض فريقاً منهم للدفاع عن الإسلام قائلاً :

من يحمى أعراض المسلمين ؟ فيقوم إليه ثلاثة متمثلة المعانى الإسلامية فى أشعارهم فيوزعهم توزيعاً عادلاً يتفق وموهبتهم وإجادتهم لأساليب الهجاء المختلفة فكان كعب للهجاء بالأيام ولذلك كان الرسول ﷺ يقول له : أنت تُحسن صفة الحرب ، وحسان للهجاء بالمثالب ولكون هجائه مبنياً على الحقائق الدامغة أمَره الرسول ﷺ بالذهاب إلى أبى بكر الصديق - دضى الله عنه - ليتعلم منه أنساب العرب ومثالبها .

وأما ابن رواحه فكان للهجاء بالكفر والشرك [1] . إن هذا التوجيه والتخصيص لكل شاعر بما يتناسب وموهبته الشعرية يؤكد أن الرسول ﷺ كان

(١) دور الشعر فى معركة الدعوة الإسلامية - عبد الرحمن خليل إبراهيم ص ٢٦٣ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر ١٩٧١م ، وكذا الأدب فى موكب الحضارة الإسلامية كتاب الشعر مصطفى الشكعة ص ٩٣ الطبعة الثالثة ١٩٧٤م دار الكتاب اللبنانى - بيروت ، وكذا الهجاء والهجاءون فى الجاهلية محمد محمد حسين ص ١٩٣ الطبعة الثانية دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت . وكذا مضمون المدحة النبوية زمن البعثة أحمد محمد الدجار ص ١٩٣ دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير .

يدرك الظرف ، ويُقَدِّر الأبعاد التى تتركها أشعار كل واحد منهم فى نفوس المشركين .

وقد جاء فى الأخبار أن قائلاً قال لعلى بن أبى طالب - رضى الله عنه - : اهْجُ عنّا القوم الذين يهجوننا ، فقال إن أذن لى رسول ﷺ فَعلتُ . فقالوا : يا رسول آلله ،آئذن له ، فقال رسول الله ﷺ : إن علياً ليس عنده ما يُراد فى ذلك منه . أو : « ليس فى ذلك هنالك [1] » ثم قال : « ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله ﷺ بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم ؟ فقال حسان : أنا لها ، وأخذ بطرف لسانه وقال : « والله ما يسرُّنى به مقول بين بصرى وصنعاء وقال رسول الله ﷺ : كيف تهجوهم وأنا منهم ؟ وكيف تهجوا أبا سفيان وهو ابن عمى ؟ فقال : والله لأسلنك منهم كما تُسَلُّ الشعرةُ من العجين . فقال له : إيت أبا بكر فإنه أعلم بأنساب القوم منك فكان يمضى إلى أبى بكر ليقف على أنسابهم ، فكان يقول له : كفّ فلانة وفلانة ، واذكر فلانة وفلانة فجعل حسان يهجوهم : فلما سمعت قريش شعر حسان قالوا : إن هذا الشعر ماغاب عنه أبن أبى أو : من شعر أبى قحافة [2] » . فالرسول ﷺ يعلم أن الموهبة الشعرية عند الإمام على - رضى الله عنه - هى غير الموهبة التى يتمتع بها كل من حسان وكعب وعبد الله بن رواحه فى التأثير على قريش ، لأنه يدرك قيمة الشعر فى الإنسانية ، فلم يكن يهمل الجانب الفنى من خلال معاييره الخلقية .

---

(١) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لأبى عمر يوسف بن عبد البر ، تحقيق على محمد البجاوى ، القسم الأول ص ٣٤٢ .

(٢) المصدر نفسه القسم الأول ص ٣٤٢ وفى رواية « أهجهم وروح القدس معك » انظر جمهرة أشعار العرب تأليف أبى زيد بن أبى القرشى ص٣٠ دار صادر - بيروت .

وقد أعجب الرسول ﷺ بما قال عمرو بن الأهتم ، وعرف مراده عندما وفد عليه وفد بنى تميم ، ولما سأله الرسول ﷺ عن الزبرقان بن بدر ؟ قال : « مانعٌ لحوْزَته ، مطاعٌ فى أدنيه » ، فقال الزبرقان : أما إنه قد علم أكثر مما قال ، ولكنه حسدنى شرفى ، فقال عمرو : أما لئن قال ما قال فوالله ما علمته إلا ضيق الصدر ، زَمِرَ المروءة ـ أى قليلها ـ لئيم الخال ، حديث الغنى . فلما رأى أنه خالف قوله الآخر قوله الأول ، ورأى الإنكار فى عينى رسول الله ﷺ قال : يا رسول الله ، رضيت فقلت : أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت : أقبح ما علمت ، وما كذبت فى الأولى ، ولقد صدقت فى الأخرة ، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : « إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكماً ، وقيل : لحكمة [1] » . فقرن البيان بالسحر فصاحة منه ﷺ وجعل من الشعر حكما لأن السحر يخيل للإنسان مالم يكن للطافته وحيلة صاحبه وكذلك البيان يتصور فيه الحق بصورة الباطل والباطل بصورة الحق لرقة معناه ولطف موقعه وأبلغ البيانين عند العلماء الشعر بلا مدافعة [2] » . وروى ابن عائشة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الشعر كلام من كلام العرب جزْل تتكل به فى بواديها وتسل به الضغائن من بينها [3] » . وَرُىَ عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تَدَعُ العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين [4] ». فهو يشير إلى قيمة الشعر فى نفوس العرب ، وارتباطه الوثيق بحياتهم . فكان اختياره للشعراء

(١) البيان والتبيين أبى عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠ ـ ٢٥٥) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون جـ١ ص ٥٣ . وكذا جمهرة أشعار العرب أبى زيد بن أبى الخطاب القرشى ص٣٠ .

(٢) العمدة فى صناعة الشعر ونقده تأليف أبى على الحسن بن رشيق القيروانى تحقيق وشرح مفيد محمد قميحة جـ١ ص ٢٠ .

(٣) المصدر نفسه جـ١ ص ٢٠ (لم أجد إشارة إلى الحديث المذكور فى كتب الحديث الموثقة) .

(٤) المصدر نفسه جـ١ ص ٢٣ (وكذلك الحال بالنسبة لهذا الحديث فلم يرد له ذكر أيضاً) .

ينسجم مع ما يمتلكونه من مواهب . وروى أن النبى ﷺ دخل على عائشة - رضى الله عنها - يوماً وهى تنشد من شعر زهير بن جناب[1] :

ارفعْ ضعيفَك لا يَحُرْ بك ضعفُهُ ٠٠ يوماً فتُدركهُ عواقبُ ما جنَى

يجزيك أو يثنى عليك وإنّ مَنْ ٠٠ اثنى عليك بما فعلت كمن جزى

فيقول عليه الصلاة والسلام : « صدق يا عائشة ، لا يشكر الله من لا يشكر الناس [2] » .

والنابغة الجعدى[3] حين وفد على النبى ﷺ وأسلم أنشده قصيدته الرائية ، وقد قال فى ذلك : أتيت رسول الله ﷺ فأنشدته قولى :

أتيتُ رسولَ الله اذجاء بالهدى ٠٠ ويتلو كتاباً كالمجرَّة نيِّرا

بلغنا السماءَ مجدنا وجدودنا ٠٠ وإنَّا لنَرْجو فوقَ ذلك مَظْهَرا

فقال النبى ﷺ : « إلى أين يا أبا ليلى ؟ » قال إلى الجنة : قال « نعم إن شاء الله تعالى » فلما أنشدته :

---

(١) رُهَيْر بن جَنَاب الكَلبىُّ كان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ، ووافدهم إلى الملوك ، وطبيبهم أنظر طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحى قرأه وشرحه محمود محمد شاكر السفر الأول ص ٣٥ وكذا الشعر والشعراء تأليف أبى محمد عبد الله بن مسلم بم قتيبة جـ١ ص ٢٩٤ نشر وتوزيع دار الثقافة - بيروت - لبنان .

(٢) الشعر والشعراء تأليف أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة جـ١ ص ٢٩٦ ، وكذا الصراع بين الإنسان والطبيعة فى الشعر الجاهلى محمد محمد الكومى ص ٣٤ ، وكذا الأدب فى صدر الإسلامى وعصر بنى أمية أ.د أحمد عبد الغفار عبيد ص ٦ .

(٣) النابغة الجعدى هو قيس بن عبد الله يقول عنه ابن سلام : « كان النابغة قديماً ، شاعراً مغلقاً (طويل البقاء) فى الجاهلية والإسلام » انظر الطبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحى قرأه وشرحه محمد محمد شاكر السفر الأول ص ١٢٣ ، ١٢٤ . وكذا الأغانى تأليف أبى فرج الأصفهانى على بن الحسين جـ٥ ص١ .

ولا خـيـرَ فى حِلْمٍ إذا لم يكن له　　بَوادرُ تَحْمى صفَـــوهُ أن يُكَدَّرا

ولا خـيـرَ فى جَهلٍ إذا لم يكن له　　حَليمٌ إذا مـــا أوْرَدَ الأمـــرَ أصْدَرا

فقال رسول الله ﷺ : « لا يَفْضُض اللهُ فاك [1] » قال : فبقى عُمْرُهُ لم تنقص له سنّ ، وكان معمراً .

فإعجاب الرسول ﷺ بأبيات النابغة الجعدى يدل دلالة واضحة وأكيدةعلى إعجابه بأسلوب النابغة الفنى فى هذه الأبيات .

ولقد كان الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ عندما يسمع بعض الأشعار يقترح على القائل أن يبدل لفظاً مكان لفظ حتى يستقيم على النهج الإسلامى مثلما حدث يوم أن أنشد كعب بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قوله :

مجالدنا عن جذمنا [2] كل فخمة　　مـذربة فـيـهـا القـوانس تلمع[3]

إذا قال له الرسول ﷺ : « أيصلح أن تقول : مجالدنا عن ديننا ؟ » ، فقال كعب : نعم ، فقال الرسول ﷺ : « هو أحسن » فقال كعب : مجالدنا عن ديننا .

أرأيت كيف كان أدب الرسول ﷺ حين قال : « أيصلح » بصيغة الإستفهام ،

---

(١) الفائق فى غريب الحديث أبو قاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى تحقيق أبو الفضل ابراهيم وعلى محمد البجاوى جـ ١ ص ٣٦٠ الطبعة الثانية مطبعة عيسى البابى الحلبى . وكذا الشعر والشعراء تأليف أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة جـ١ ص ٢٠٧ ، ٢٠٩ . وكذا الأغانى تأليف أبى الفرج الأصفهانى على بن الحسين جـ٥ ص ٨ ـ ٩ . وكذا الهجاء والهجاءون فى الجاهلية محمد محمد حسين ص ١٨٣

(٢) الجذم : الأصل .

(٣) السيرة النبوية لأبى محمد عبد الملك بن هشام (٢١٨هـ) قدّم وعلّق عليها وضبطها طه عبد الرؤوف سعد جـ٣ ص ٦٣ دار الجيل بيروت ١٩٧٥م . « مذربة ـ بالذال ـ : معلى محددة ، ويروى : مدربة .

ثم يُقَرِّر أن ما اقترحه على الشاعر كان أحسن لموافقته ما كان يدعو إليه من المدافعة عن الإيمان والدين ، لا عن الأصول والأحساب ، وبهذا يعلمنا أدب الناقد ، وما يليق به من السماحة والتلطف فى القول ، وعرض ما يقترحه أو ينقده فى مودة وألفةٍ. وروى أنه تمثل ببيت سحيم عبد بنى الحسحاس الأسديين [1].

عُمَيْرَةُ وَدِّعْ إن تجـهَّزتَ غـاديا ٠٠ كفى الشيبُ والإسلام للمرء ناهياً

ولكنه نطق الشطر الثانى من البيت مقدماً الإسلام على الشيب فقال له أبو بكر رضى الله عنه ما هكذا قال الشاعر يا رسول الله ،وأصلح من رواية البيت فجعل النبى ﷺ لا يطيقه وأعاده كما نطق به فى السابق ؛ فقال أبو بكر : أشهد أنك رسول الله وما علمناه الشعر وما ينبغى له [2]، .

وواضح أن أبا بكر كان حريصاً على صحة الرواية ، ولم ينظر إلى المعنى بينما نظر الرسول الكريم إلى معنى أن من لا يردعه إسلامه لا يردعه شيبه ولذا حق للإسلام أن يتقدم على الشيب فى البيت .

وأنشده حسان بن ثابت ، وهو يجاوب عنه أبا سفيان بن الحارث قوله :

هَجَوْتَ مُحَمَّداً فـأَجـبتُ عنه ٠٠ وعندَ الله فى ذاك الجـزاءُ

(١) هو سُحَيْم عَبْدُ بنى الحَسْحاس بن هند بن سفيان بن أسد بن خزيمة قال عنه ابن سلام : « هو حلْو الشعر رقيق حواشى الكلام » انظر طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحى قرأه وشرحه محمود محمد شاكر السفر الأول ص ١٧٢- ١٨٧ ، وكذا الإصابة فى تمييز الصحابة تأليف بن حجر العسقلانى أحمد بن على (٨٥٢هـ) حقق أصوله ضبط أعلامه ووضع فهارسه على محمد البجاوى القسم الثالث ص ٢٥٠ .

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر البغدادى تحقيق عبد السلام محمد هارون جـ١ ص ١٧٢ الخانجى مصر ١٩٧٩م ، وكذا الاصابة فى تمييز الصحابة تأليف ابن حجر العسقلانى أحمد بن على (٨٥٢هـ) حقق أصوله وضبط أعلامه ، ووضع فهارسه على محمد البجاوى القسم الثالث ص٢٥٠ .

فقال جزاؤك عند الله الجنة يا حسان ، فلما قال :

فَإِنَّ أَبِي ووالده وعـــــــرضـى ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مـنكُم وِقـــــــاء

قال له وقاك الله حر النار فقضى له بالجنة مرتين فى ساعة واحدة وسبب ذلك شعره (١).

وروى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « أن النبى ﷺ بنى لحسان بن ثابت فى المسجد منبراً ينشد عليه الشعر (٢) ».

وفى حديث عن النبى ﷺ أنه قال : « أمرتُ عبد الله بن رواحة فقال وأحْسَنَ ، وأمرتُ كَعْبَ بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشَفى واشْتَفَى (٣) ». لقد شفى صدر الرسول ﷺ من شعراء قريش المشركين ، واشتفى من زعمائهم الذين حاربوا الله ورسوله ﷺ حين سقطوا صرعى فى المعارك التى دارت رحاها عليهم .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال ليلة وهو فى سَفَر : « أين حسّان بن ثابت ؟ فقال حسان : لبيك يا رسول الله وسَعْدَيْك . قال : أحْدُ فجعل يُنْشِد ويُصْغِى إليه

---

(١) العمدة فى صناعة الشعر ونقده تأليف أبى على الحسن بن رشيق القيروانى تحقيق وشرح مفيد محمد قميحة جـ١ص ٤١ ، وكذا مضمون المدحة النبوية زمن البعثة أحمد محمد النجار ض ١٩١ ، وكذا الأدب العربى فى موكب الحضارة الإسلامية كتاب الشعر مصطفى الشكعة ص ٩٥ ، الأغانى تأليف أبى الفرج الأصفهانى على بن الحسن جـ٤ ص ١٣٩ ، وكذا تاريخ الأدب العربى العصر الإسلامى شوقى ضيف ص ٤٨ .

(٢) العمدة فى صناعة الشعر ونقده تأليف أبى على الحسن بن رشيق القيروانى تحقيق وشرح مفيد محمد قميحة جـ١ ص ٢٠ ، وكذا روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى العلامة المرحوم أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود شكرى الألوسى البغدادى جـ١٩ ص ١٤٨ .

(٣) الأغانى تأليف أبى فرج الأصفهانى على بن الحسن جـ٤ ص ١٣٤ ، وكذا الهجاء والهجاءون فى الجاهلية محمد محمد حسين ص ١٩٠ .

النبى ﷺ ويستمع ، فما زال يستمع إليه وهو سائقُ راحلته حتّى كان رأسُ الراحلة يمس الوَرك حتّى فَرَغَ من نشيده .فقال النبى ﷺ : « لَهَذَا أَشدُّ عليهم من وَقْع النَّبلْ [1] ».

وذكرت الرواة أيضاً أن عبد الله بن رواحة قال : « مررت بمسجد رسول الله ﷺ وهو فى نَفَرٍ من أصحابه ، فأَصْبَ القوم [2]: يا عبد الله بن رواحة ! يا عبد الله بن رواحة ! فعرفت أن رسول الله ﷺ دعانى ، فانطلقت إليهم مسرعاً ، فسلمتُ ، فقال ها هنا . فجلستُ بين يديه فقال ـ كأنه يَتعجّب من شِعرى : كيف تقولُ الشّعر إذا قُلتَهْ ؟ قلت : أنظر فى ذلك ثم أقول . قال : فعليك بالمشركين قال : فلم أكنْ أعددت شيئاً ، فلما قلتُ » :

فَخَبِّرونِي أَثْمـــانَ العبَاءِ مـــتى .·. كُنْتُم بطَارِيقَ أو دَانتْ لكم مُضَرُ [3]

فرأيته قد كره هذا ، أن جعاتُ قومهُ أثمانَ العبَاءِ ، فقلت :

يَا هَاشِمَ الخَيـــــرِ إنَّ الله فَضلَّكم .·. علَى البَرِيَّة فَضـــلاً مَالَهُ غِيَرُ [4]

فرأيته ينظر إلى مستبشراً ويدعوا لى. ثم قال لى: قل شعراً تقيضه الساعة،

---

(١)الأغانى تأليف أبى فرج الأصفهانى على بن الحسن جـ٤ ص ١٤٢ ، ، وكذا الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لأبى عمر يوسف بن عبد البر تحقيق على محمد البجاوى القسم الأول ص٣٤٤ .

(٢) أصب القوم : صاحوا وجلبوا وتكلموا كلاماً متتابعاً .

(٣) العباء : كساء جاف غليظ ، فجعلهم أثمان العباء فى الخسة . البطاريق : جمع بطريق : القائد الحازق بالحرب وأمورها .

(٤) طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحى قرأه وشرحه محمود محمد شاكر القسم الأول ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ . وكذا الإصابة فى تمييز الصحابة تأليف بن حجر العسقلانى أحمد بن على (٨٥٢هـ) حقق أصوله وضبط أعلامه ، ووضع فهارسه محمد على البجاوى القسم الرابع ص ٦٧ ، وكذا سيرة أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبى جـ١ ص ١٦٨ دار المعارف بمصر ١٩٥٧ م .

وأنا أنظر إليك ، فانبعثت مكانى فقلت فى سرعة :

إنّي تـفَرَّسْتُ فـيكَ الخـيْرَ أعْـرفُهُ ٠٠ واللهُ يَعْلَمُ مـــــا إنْ خانـنـى بَصَرُ

أنت النبىُّ ومن يُحْرَم شـفـاعـتُهُ ٠٠ يوم الحـســاب لقـد أزْرى به القَدَرُ

فَثَبَّتَ اللهُ مَا آتَاك مـــــن حَسَنٍ ٠٠ تَثْبِيتَ مُوسى ونَصْراً كالَّذِى نُصِرُوا(١)

يقول ابن رواحة ، فأقبل رسول الله بوجهه مستبشراً ، وقال وإياك فثبتك الله يا ابن رواحة (٢).

ومن مظاهر التقويم الفنى للشعر ، ما ذكر عن قَتْل النبى ﷺ للنضر بن الحارث ، وكان ممن أُسِرَ يوم بدر ، وكان شديد العداوة لله ، ولرسوله ، وقتله على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ صبرا (٣)، فعرضت للنبى ﷺ أخته قُتيلة بنت الحارث وقيل ابنته ، وهو يطوف بالبيت ، واستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبُه ، وأنشدته :

يـا راكِبـــــاً أنَّ الأثيـلَ مَظِنَّةٌ ٠٠ من صُبح خـــامِسَةٍ وأنتَ مُوفَّقُ

وانتهت إلى قولها :

أوْ كنتَ قـــابِلَ فِدْيةٍ فلْيُنفـــقَنْ ٠٠ بأعـــزَّ مـــا يَغْلو بع مـــا يُنْفَقُ

---

(١) شرح شواهد المغنى جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (٩١١هـ) تحقيق أحمد ظافر كوجان القسم الأول ص ٢٩٣ .

(٢) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لأبى عمر يوسف بن عبد البر تحقيق على محمد البجاوى القسم الثالث ص ٩٠٠ ، وكذا شاعر الدعوة عبد الله بن رواحة تأليف عبد المقصود محمد شلقامى ، ومصطفى كامل مصطفى ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م مؤسسة بدران للطباعة والنشر والتوزيع .

(٣) الصبر : نصب الإنسان للقتل فهو مصبور وصبّر الإنسان على القتل نَصْبه عليه يقال قتله صبراً . والمصبورة هى المحبوسة على الموت وكل ذى روح يصبر حياً ثم يرمى حتى يقتل فقد قتل صبراً . أنظر لسان العرب أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور (٧١١هـ) (مادة صبر) نسخة مصورة عن مطبعة بولاق ـ بإشراف الدار المصرية للتأليف والترجمة .

فذكر أن رسول الله ﷺ رق لها ، ودمعت عيناه ، وقال لابى بكر : « لو بلغنى هذا قبل قتله لَمَنَنتُ عليه [1] ».

وهذا هو كعب بن زهير يهجو [2] الرسول ﷺ ، فيهدر الرسول دمه ، وكتب إليه أخوه بُجَير بن زهير ، وكان قد أسلم وحَسُن إسلامه ، يُعلمه أن النبى ﷺ ، قتل رجالاً بمكة ممن كانوا يهجوه ويؤذوه . فلما بلغه كتاب أخيه ضاقت به الأرض ولم يدر فيما النجاة ، فأتى أبا بكر - رضى الله عنه - فاستجاره ، فقال : أكره أن أجير على رسول الله ﷺ وقد أهدَر دمَك ، فأتى عمر - رضى الله عنه - فقال له مثل ذلك ، فأتى علياً ، عليه السلام ، فقال : أدلك على أمر تنجو به قال : وما هو ؟ قال تصلى مع رسول الله ﷺ ، فإذا انصرف فقم خلفه ، وقل يدك يا رسول الله أبايعك ! فإنه سيناولُكَ يَده من خَلفه ، فخذ يَده فاستْجِره ، فإنى أرجوا أن يَرحمك ، ففعل ، فلما ناوله رسول الله ﷺ يَده استجاره ، وأنشد قصيدته(البردة) التى مطلعها:

بانت سعاد فقلبى اليوم متبولُ ٠٠ مُتَيَم ، إثْرَها - لم يُعْدَ - مَكْبُول [3]

---

(١) الأغانى تأليف أبى الفرج الآصفهانى على بن الحسن جـ١ ص ٣٠ .

(٢) هو كعب بن زهير بن أبى سلمى الشاعر الجاهلى المشهور ووضعه ابن سلام فى الطبقة الثانية وكان يكنى أبا عقبة وكان شاعراً فحلاً مجيداً أدرك الإسلام ودخل فيه . أنظر طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحى قرأه وشرحه محمود محمد شاكر السفر الأول ص ٩٧ وما بعدها ، وكذا جمهرة أشعار العرب تأليف أبى زيد بن أبى الخطاب القرشى ص ٣٢ وكذا مختصر سيرة أبن هشام (السيرة النبوية) إعداد محمد عفيفى الزغبى مراجعة عبد الحميد الاحدب ص ٢٥٧ وما بعدها الطبعة السادسة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م دار النفائس ، وكذا نهاية الأرب فى فنون الأدب تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى (٦٧٧ - ٧٣٣هـ) جـ١٨ ص٣٢ وما بعدها نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب وزارة الثقافة والإرشاد القومى المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر مطابع كوستاتسوماس وشركاه .

(٣) ديوان كعب بن زهير ص ٦ طبعة دار الكتب .

فكانت القصيدة أحسن الوسائل إلى الشفاعة ، وأوثق الذرائع إلى الصفح عنه ، و القصيدة فى معظمها على غرار الشعر القديم ، وهى تكاد تخلو من الروح الدينية أو الاثر الروحى إلا أنها لقيت صدى عميقاً فى نفس الرسول ﷺ ، وكان من نتيجة ذلك التكريم ، بإكسائه البردة التى اشتراها معاوية - فيما بعد - من آل كعب بن زهير بمال كثير [1] ، . وكان له ﷺ نظرة صائبة فى الشعر فقد أصلح لكعب بعض قوله حين أنشد :

إنَّ الرسولَ لنورٌ يستضاءُ به ٠٠ مهنّدٌ من سيوف الهند مسلول

قال له : ، من سيوف الله ، بدلا من ، سيوف الهند ، فأصلحها كعب [2].

واعجاب الرسول ﷺ بقصيدة كعب بن زهير بعد أن كان توعّده وأهدر دمه يشير إلى تقويم الرسول ﷺ للشعر فنياً ، لأنه يعلم موهبة كعب الشعرية ، وقدرته على التعبير ، رغم ما ساد القصيدة من روح غزلية ، فإنه واصل الاستماع إليها ، مما يدل على إعجاب الرسول صلى الله ﷺ بطاقة كعب الشعرية ، وموافقته على ما ورد فيها من تقاليد فنية ، لما حققته من متعة نفسية له .

---

(١) طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحى قرأه وشرحه محمود محمد شاكر السفر الأول ص ١٠٣ ، وكذا الشعر والشعراء تأليف أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة جـ١ ص ٨٩ ـ ٩٠ ، وكذا تاريخ الأدب العربى أحمد حسن الزيات ص ١٤٨ ، وكذا الأدب فى موكب الحضارة الإسلامية كتاب الشعر مصطفى الشكعة ص ٩٩ .

(٢) شرح قصيدة ، بانت سعاد ، لعبد اللطيف البغدادى ص ١٦٦ طبعة دار الفلاح الكويت وقد روى ابن هشام فى السيرة البيت كما صححه الرسول ﷺ ، أما ابن قتيبة فقد رواه مصححاً كابن هشام ولكنه ابدل لفظ ، مهند، بلفظ صارم ، ينظر السيرة النبوية لابى محمد عبد الملك بن هشام قدم وعلق عليها وضبطها طه عبد الرؤوف سعد جـ٤ ص ١١٥ ، وكذا الشعر والشعراء تأليف أبى محمد عبد الله بن مسلم قتيبة جـ١ ص ٩٠ وكذا المدائح النبوية فى الأدب العربى زكى مبارك ص ٢٣ دار الشعب وكذا المزهر فى علوم اللغة وأنواعها عبد الرحمن جلال الدين السيوطى جـ٢ ص ٤٢٥ .

وقد نقل عن الخليل بن أحمد الفراهيدى ، قوله : « كان الشعر أحب إلى رسول الله ﷺ من كثير من الكلام ، ولكن لا يتأتى له [1] » .

ولم يقتصر سماع الرسول ﷺ على الشعر الذى يدعو إلى الإسلام ، ومبادئه ، وإنما رُوىَ عنه ﷺ استماعه إلى شعر يجسد تجربة إنسانية . فقد جاءه شاعر هو الأعشى الحرمازى فأنشده شعراً يشكو فيه امرأته التى تعصاه ، وتنغص عليه حياته بكثرة نزاعها وشجارها . فقال :

يا مالك الناس وديّان العرب ٠٠٠ إنى لقيت دربة من الذرب
غدوتُ أبغيها الطعام فى رجب ٠٠٠ فخلفنى بنزاع وهرب
أخلفتِ العهدَ ولطت بالذَّنبْ ٠٠٠ وهنّ شرُّ غالبٍ لَمِنْ غلَب

فجعل الرسول صلى الله ﷺ يقول : « وهن شر لمن غلب [2] » .

ومن تضاعيف هذه الحادثة ندرك قيمة الشعر الفنية فى نفس الرسول ﷺ وهى قيمة ترتبط بمعاييره الخلقية . وإذا كان للإسلام موقف من الشعر ، فإنه لم يحرمه فناً ولنتذكر أن الإسلام من الناحية الفنية الخالصة قد قدم للشعر فرصة ذهبية للتجدد والنمو والتوسع والتعمق لم تتح لولا مجئ الإسلام [3] .

على أننا ينبغى أن ندرك أن الرسول ﷺ قد كانت له مواقف مع شعراء بعينهم كانوا ينالون منه ومن المسلمين ، فهؤلاء كان معهم حاسماً لا يتوانى عن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن أبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى جـ١٥ ص ٥٢ الطبعة الأولى ١٩٣٩م مطبعة دار الكتب المصرية .

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى بتحرير العراقى وابن حجر جـ٨ ص ١٢٧ منشورات دار الكتاب العربى بيروت - لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

(٣) الشعر الجاهلى منهج فى دراسته وتقويمه محمد النويهى جـ٢ ص ٨٨٨ الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة .

إهدار دمائهم مثل أبى عفك أحد بنى عمرو بن عوف وعبد الله بن خطل القرشى ، ونقيس بن صبابه الكنانى ، وعصماء بنت مروان من بنى أمية بن زيد كانت تعيب الإسلام وتحرض على النبى ﷺ وتقول فى ذلك شعراً (١) ، وكعب بن الأشراف اليهودى ، كان يهجو النبى ﷺ وأصحابه ويحرض عليهم كفار قريش فى شعره ، ثم خرج إلى مكة بعد بدر ، فجعل يرثى قتلى بدر ، ويحرض قريشاً ، وعاد إلى المدينة فقال النبى ﷺ : اللهم أكفنى ابن الاشراف بما شئت ، فى إعلانه الشر ، وقوله الأشعار . ثم قال من لى با ابن الأشراف ، فقد آذانى فقال محمد بن مسلمة : أنا به يا رسول الله وأنا أقتله قال : فأفعل . ولما جاءت اليهود للنبى ﷺ تشكو قتله ، قال لهم لو قُر كما غيرهُ ممن هو على مثل رآيه ما اغتيل ، ولكنه نال منا الأذى ، وهجانا بالشعر ، ولم يفعل ذلك أحد منكم إلا كان السيف (٢)، ومثل أبى رافع سلام بن أبى الحقيق وهو من شعراء اليهود أيضاً (٣) .

وهؤلاء جميعاً أهدر الرسول ﷺ دماءهم ونفذ حكمه فيهم لمواقفهم من الإسلام ، وصدهم عن سبيل الله ، ونيلهم منه ومن المسلمين .ولكنه بجانب هذا نجد منه مواقف مع شعراء آخرين فيها رفق ولين - برغم أنهم وقفوا ضد الإسلام بشعرهم - فأبوعزَّةَ الجُمَحِيّ كان شاعراً فى قريش ، وكان يهجو النبى ﷺ فأُسرَ يوم بدر كافراً ، فقال : يا رسول الله ، إنى ذُو عيالٍ وحَاجةٍ قَدْ عرفتها فامْنُنْ علىّ منْ الله علَيكْ . قال نعم على أن لا تعين علَىّ ! قال نعم . فعاهده وأطلق سراحه ، ولكن أبا عزة قابل هذا الرفق بالإساءة والإحسان والجميل بالنكران إذ ما أن رجع

(١) ينظر خبر أبى عفك فى السيرة النبوية لأبى محمد عبد الملك بن هشام علق عليها طه عبد الرؤف سعد جـ٤ ص ٢٠٨ وخبر عبد الله بن خطل انظر العمدة لابن رشيق تحقيق مفيد محمد قميحة جـ١ ص ١٧ وخبر بن صبابه انظر السيرة لابن هشام جـ٣ ص١٨٥ وكذلك خبر عصماء فى السيرة لابن هشام جـ٤ ص ٤٠٩ .

(٢) السيرة النبوية لأبى محمد عبد الملك بن هشام جـ٣ ص ٧ .

(٣) المصدر نفسه جـ٣ ص ١٠٧ وكذا الهجاء والهجاءون محمد محمد حسين ص ١٩٢ .

إلى مكة حتى عاد إلى هجاء الرسول ﷺ ثانية ، وزاد عليه أن خرج مع المشركين يوم أحد فلما أسر قال يا رسول الله منّ عليّ منّ الله عليك . فقال الرسول ﷺ : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، والله لا تمسح عارضيك بمكة وتقول : إني خدعت محمداً مرتين . اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت فضرب عنقه [1] » .

وهناك طائفة من الشعراء عفا عنهم النبى ﷺ بعد أن أهدر دماءهم مثل أسيد بن أبى أناس الذى عفا عنه يوم فتح مكة ، والحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى ، وعبد الله بن الزِّبَعْرَى ، وقد عفا عنهما يوم فتح مكة حين جاءا معتزرين . وكعب بن زهير بن أبى سلمى على نحو ما بينا .

فالرسول ﷺ كان يرى فى الشعراء حكمة وجمالا ويستعذبه ويستنشده أصحابه ، ويصلح منه ويدعو لقائليه ، ويشجع عليه ، وكان إلى هذا يراه سلاحا بتارا فعالا فى محاربة المشركين ، ونوعا من أنواع الجهاد فى سبيل الله .

وكان موقفه هذا من الشعر عليه الصلاة والسلام سببا فى حفظه ورواياته والعناية بآثاره بعد الإسلام .

*** وكذلك كان موقف الصحابة الأوائل من الشعر مستمداً من موقف القرآن الكريم والرسول ﷺ حثوا على قول الشعر الذى يوافق الحق ، ونهوا عما لا يوافقه ، فكانوا يتناشدون الاشعار ويروونها ويحكمون عليها ويستمعون إلى قائليها ، ولم يكونوا متزمتين ضيقى الصدور ، ويروى أن الحسن البصرى سئل يوماً :

(١) السيرة النبوية لابى محمد عبد الملك بن هشام جـ٢ ص ٢٠٤ ، وكذا طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحى قرأه وشرحه محمود محمد شاكر السفر الأول ص ٢٥٣ وما بعدها فقد أورد ابن سلام الخبر ثم عقب عليه بقوله : إن أبا جعدبه قال ما أسر أحد يوم أحد هو ولا غيره ولقد كان المسلمون يومئذ فى شغل عن الأسر ، ولم ينكر القتل . المصدر نفسه ص ٢٥٥ .

« أكان أصحاب رسول الله ﷺ يمزحون ؟ قال : نعم ، ويتقارضون من القريض وهو الشعر [1] » ، ولم يعرض الصحابة عن الشعر مادام غير متعارض وأخلاق الإسلام وتعاليمه ، وذكر أبو سلمة وصفهم : « لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ متحزقين ولا متماوتين ، كانوا يتناشدون الاشعار ويذكرون أمر جاهليتهم ، فإذا أريد أحد منهم على شئ من أمر دينه ، دارت حماليق عينيه كأنه مجنون [2] » .

وكانوا يتمثلون بالشعر فى كلامهم ، فأبو بمر الصديق رضى الله عنه مثلا كثيرا ماكان يستشهد فى خطبه بأبيات مناسبة من الشعر ، كخطبته يوم السقيفة فى مخاطبة الأنصار : « فنحن وأنتم كما قال الغنوى :

جـزى الله عنّا جـعـفـراً حين أزلفتْ ... بدا نعلنا فى الواطئين فـزلتِ
أبـو أن يمـلّونـا ولـو ان أمـنّا ... تـلاقـى الـذى يلقَون مـنـا لملّت
هم أسكنونا فى ظلال بيـوتهم ... ظلالِ بيـوتٍ أدفـأتْ وأكنّت [3]

والخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - كان من أكثر أهل زمانه نقدا [4] للشعر، و أنفَذهم فيه معرفة [5] وروى محمد بن سلام (٢٣١هـ) عن بعض أشياخه : قال : « كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لايكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر [6] » .

---

(١) الفائق فى غريب الحديث أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى (٥٣٨هـ) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعلى محمد البجاوى جـ٢ ص ٣٣٩ مطبعة عيسى البابى الحلبى الطبعة الثانية .

(٢) المصدر نفسه جـ١ ص ٢٧٥ .

(٣) الشعر والشعراء تأليف أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة جـ١ ص ١٨ ، وكذا الأغانى تأليف ابى الفرج الاصبهانى على بن الحسن جـ١٠ ص ٢٨٨ ، وكذا الصراع بين الانسان والطبيعة فى الشعر الجاهلى محمد محمد الكومى ص ٣٦ .

(٤) ملامح العبقرية وشواهد الإبداع فى الشعر الجاهلى دراسة أدبية نصية تحليلية نقدية أ. د عبد الله حسين سليمان ص ٣٠- ٣١ الطبعة الأولى ١٩٩٠م المكتب العربى للطباعة .

(٥) العمدة فى صناعة الشعر و نقده تأليف أبى على الحسن بن رشيق القيروانى تحقيق و شرح مفيد محمد قميحة جـ١ ص ٢٠ .

(٦) البيان والتبيين أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠ - ٢٥٥) تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون ج ص٢٤١ .

وكان من أحتفائه بالشعر أنه كتب إلى أبى موسى الأشعرى واليه على البصر يقول له : «مر من قبلك بتعليم الشعر فإنه يدل على معالى الأخلاق وصواب الرآى ومعرفة الأنساب [1] ».

وعن أبن عباس قال : فى رواية يذكرها ليلة مسير عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – إلي الجابيه : قال هل تروى لشاعر الشعراء؟ قلت : ومن هو ؟ قال : الذى يقول :

وَلَو أنَّ حَمْداً يُخلدُ النـاسَ أُخْلِدوا ... وَلَكِنَّ حَمْدَ النـاس لَيس بِمُخْلِدِ

قلت : ذاك زهير [2] . قال : فذاك شاعر الشعراء . قلت : و بِمَ كان شاعر الشعراء ؟ قال : « كان لا يُعاظلُ بين الكلام ، ولا يتَبَعُ وَحْشِيَه ، ولا يمدحُ الرجلَ إلاَّ بما فيه » [3] . فعمر بن الخطاب – رضى اللهعنه – يُعْجب بشعر زهير بن أبى سلمى ؛ لأنه يبصر فيه الميزة الفنية للشعر الجيد ، و هى تتمثل فى قدرة زهير على تفصيل القول ، إيضاحه ، وعدم لجوئه إلى التعقيد ، و أستخدام الغريب ، فضلاً عن الصدق فى التعبير . فهو يقرر مبدأ الَصدق فى نقد الشعر ، قبل أن يفطن له النقَّاد العرب المحترفون إذ وقع عليه آبن طَبَاطِبَا فقال : « ومع هذا فإن من كان قبلنا فى الجاهلية الجهلاء و فى صدر الإسلام من الشعراء كانوا يؤسِّسون أشعارهم فى المعانى التى ركبوها على القصد للصدق فيها مديحاً و هجاء ،

---

(١) العمدة فى صناعة الشعر و نقده تأليف أبى على الحسن بن رشيق القيروانى تحقيق وشرح مفيد محمد قميحة ج١ ص٢١ .

(٢) هو زُهير بن أبى سلمى ربيعة بن رياح بن قُرطٌ بن الحارث بن ثورين هُذَّمه بن لاطم بن عثمان بن مزينة وضعه ابن سلام فى الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية مع امرؤ القيس و النابغة الذبيانى و الأعشى أنظر طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحى قرأه و شرحه محمود شاكر السفر الأول ص٥١ .

(٣) المصدر نفسة السفر الأول ص٦٣ و كذا العمدة فى صناعة الشعر و نقدة تأليف أبى على الحسن بن رشيق القيروانى تحقيق و شرح مفيد محمد قميحة جـ١ ص ٧٤ ـ ٧٥ .

وافتخاراً ووصفاً ، و ترغيباً و ترهيباً [1] و حبب فيه و صحح القول الآمدى فى الموازنة إذ قال : « وقد كان قوم من الرُّواة يقولون : أجود الشعر أكذابه ، ولا و الله ما أجوده إلاَّ أصدقه [2].

على أن أثر الفن الصادق باق مع حسن الثناء عليه ، ويكفى صاحبه جزاء أن يتردد كلامه على الألسنة بآمتداد الزمن ذكراً حسناً فعمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فى إعجابه بشعر زهير بن أبى سلمى نراه يحدد موقفه من الشعر فناً ، وهو دون شك يتصل بالموقف العام للإسلام من الشعر إذ ليس من اليسير الفصل بين الموقفين للظروف التى كانت تحيط بالإسلام ، و ضرورة تسخير كل الطاقات من أجل حمايته ، و الشعر يمثل جانباً من تلك الطاقات .

ومع ذلك فقد كان عمر – رضى الله عنه – شديداً مع الشعراء الذين يخرجون عن جادة الحق ، رووا أنه استعمل النعمان بن عدى على ميسان من أرض البصرى و كان شاعراً فقال فى شعره :

مَنْ مبلغُ الحسناء أن حفيظها ∴ بميسان يسقى من زجاج وَحَنْتم [3]
إذا شئت غنّتنى دهاقين قريه ∴ وصناجة تجثو على كل منسم [4]
فإن كنت ندمانى فبالأكبر اسقنى ∴ ولا تسقنى بالأصغر المتلم
لعلّ أمير المؤمنين يسوؤه ∴ تنادمنا فى الجوسق المتهدم [5]

فلما بلغ الشعر الخلفية عمر – رضى الله عنه – قال : أى و الله إنَّى ليسؤنى ذلك و من لقية فليخبره أنى قد عزلته .

---

(١) عيار الشعر أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن طبَاطبَا العلوى (٣٢٢هـ) تحقيق طه الحاجرى ، محمد زغلول سلام ص ٩ شركة فن الطباعة القاهرة ١٩٥٦م.

(٢) الموازنة بين الطا ئيين . للحسن بن بشر الآمدى (٣٧٠ هـ) تحقيق سيد صقر جـ ٢ ص٥٨ ، ١٧٤ .

(٣) الحنتم الإناء من فخار .

(٤) الدهقان رئيس الفلاحين من الأعاجم . و المنسم القدم أو الخف .

(٥) الجوسق : القصر و هى فارسيّة من الدخيل أنظر ابن سعد جـ ١ ص ١٠٣ طبعة ليدن .

ومرَّ عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – ذات يوم بحسان بن ثابت فى مسجد رسول الله ﷺ ينشد القوم شعراً فى هجاء قريش أيَّام الشرك فساءه أن يسترجع الناس أياما سلفت ، تنكأ الجروح وتعيد العصبية ، فقال لحسان مستنكراً : أرغاء كرغاء البكر . فقال حسان دعنى عنك يا عمر ، فو الله إنك لتعلم ، لقد أنشد فى هذا المسجد من هو خير منك فما يغيَّر علىَّ ذلك فقال عمر صدقت (١).

وواضح أن رد حسان وإن كان صادقاً فيه فإن الحال التى كان ينشد فيها الرسول ﷺ غير الحال التى ينشد فيها الآن ، فتلك حال كانت العداوة فيها مستحكمة بين المسلمين وقريش ، و كان لدى قريش شعراء ينالون من الرسول ﷺ وصاحبته ، ومن ثم كان لشعر حسان فى الرد عليهم و النيل من قريش معنى وأثر طيب فى نفس رسول الله و صحابته . أما الآن – وقد أنعم الله على قريش بالإسلام ودخلوا فيه أفواجا و جماعات – فلا معنى لإعادة هذا الشعر وروايته ، من هنا كان أعتراض سيدنا عمر على حسان حين رآه ينشد هذا الشعر ، لأنه روى عنه « أنه نهى أن ينشِد الناس شيئاً من مناقضة الأنصار و مشركى قريش ، وقال : فى ذلك شَتْم الحىّ و الميت ، وتجديد الضغائن ، وقد هدم الله أمْرَ الجاهلية بما جاء من الإسلام(٢).

ومن هنا نراه محقاً فى أعتراضه ، وقد مر بنا أن رسول الله ﷺ قد نهى عن رواية هذا الشعر .

والإمام على – رضى الله عنه – له علم وبصر ثاقب بالشعر والشعراء ، كان يستنشد الشعراء ويتمثل بالشعر ويقبل عليه ، بل كان نفسه شاعرا حفظت له

(١) العمدة فى صناعة الشعر و نقدة تأليف أبى على الحسن بن القيروانى تحقيق و شرح مقيد محمد قميحة ج١ ص ١٢

(٢) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لأبى عمر يوسف بن عبد البر تحقيق على محمد البجاوى القسم الأول ص ٣٤٥ .

كتب الأدب والتاريخ مجموعة من جيد الشعر . وكان يتمتع بحس فنى فى تمييزه للشعر . فكان عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – يفضل أبياناً لأبى محجن [1] منها :

لا تسألى الناسَ عن مالى و كثرته　　. . .　　و سائلى القومَ عن دينى و عن خلقى
و أهجر الفعل ذا حوبٍ ومنقصةٍ　　. . .　　و أتركُ القولَ يُدْنى منى الرَّهقِ[2].

ويتّهم رأيه فيها فلا يذكر ذلك ، إلى ان قال لعلى كرم الله وجهه : من أشعر الناس ؟ قال : الذى أحسن الوصف ، و أحكم الرصف، وقال الحق . قال : ومن هو ؟ قال: أبو محجن فى قوله ، لاتسألى الناس عن مالى وكثرته ، قال : أيّدتنى يا أبا الحسن أيّدكَ الله [3]. فالشاعر الجيد فى نظر الإمام على – كرم الله وجهه – مَنْ أحْسَنَ نَعْتَ الشئ بما فيه ، و أتْقَنَ ضمّ العبارات بعضها إلى بعض ، وقال الحق و كذلك كان عثمان بن عفان – رضى الله عنه ، يحتفى بالشعر ، ويستشهد به فى كلامه ، وكان شديداً – كعمر بن الخطاب – رضى الله عنه – مع الشعراء الذين لا يوافقون الحقّ – فقد ذكرت الرواة أن ضابئ بن الحارث البرجمى [4] هجا قوماً من بنى نهشل ، ورمى أمهم بالكلب فاستعدوا عليه عند عثمان : فقال له : « ويْلَك إما سمعتُ أحداً زمن أمرآة من المُسْلِمين بكلب غيْرَك !

---

(١) هو أبى محجن عمروين حبيب أبن عَمْرو بن عُمَيْر الثقفى من شعراء الطائف أنظر طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحى قرأه وشرحه محمود محمد شاكر السفر الأول ص ٢٥٩ .

(٢) ديوان أبى محجن الثقفى – صنعة أبى هلال العسكرى (٣٩٥ هـ) نشره صلاح الدين المنجد ص ١٥ ، ٢٢ الطبعة الأولى ١٩٧٠ م دار الكتاب الجديد بيروت .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٢ .

(٤) هو ضابئ بن الحارث بن أُرْطَاة بن شهاب بن عُبَيْد بن خاذل أبن قيس القبيلة بن حنْطلة ابن مالك ، من البراجم وضعه محمد بن سلام فى شعراء الطبقة التاسعة و قال عنه ، أنه رجلاً بذياً كثير الشر، و كان بالمدينة و كان صاحب جيْدٍ و صاحب خيْل ، أنظر طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحى قرأه و شرحه محمود محمد شاكر السفر الأول ص١٧١، ١٧٢ .

وإنى لأُرَاك لو كنتَ على عَهْدِ رَسُول الله ﷺ لأَنْزَل الله فيك قُرآناً ، ولو كان أحد قَبْلى قَطَع لسانَ شاعر فى هجاء لقطعت لسانك فحبسه فى السِّجْن » [1].

وكانت عائشة – رضى الله عنها كثيرة الرواية للشعر ، تروى القصائد الطوال ، وكانت معجبة بشعر لبيد [2] ، حتى قالوا : أنها كانت تحفظ له ألف بيت ، وقد قيل عنها – رضى الله عنها ، إنّها قالت : رحم الله لبيداً ما أشعره فى قوله :

ذهبَ الذين يُعـــاشُ فى أكنافِهِمْ ٠٠ وبقيـــتُ فى خلفَ كجلدِ الأجرَب
لا ينفعــون ولا يُرجَّى خـيــرُهم ٠٠ ويعاب قـائلهم و إن لم يَشغب [3]

ثم قالت : كيف لورأى لبيد خلَفَنا هـذا ! و يقول الشعبى : كيف لو رأت أم المؤمنين خلفنا هذا [4]! .

أما أبن عباس حبر الأمة ، العالم بكتاب الله ، المفسر له . فقد أتخذ من الشعر وسيلة لتفسير ما أشكل على المسلمين من ألفاظ القرآن الكريم ، و كان يدعو إلى معرفة الشعر للاستعانة به على فهم كتاب الله ، يقول : « إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه فى أشعار العرب ، فإن الشعر ديوان العرب . وكان إذا سئل عن شئ من القرآن أنشد فيه شعراً [5] ،

---

(١) المصدر نفسه السفر الأول ص ١٧٣ ، ١٧٤ وكذا تاريخ الأدب العربى العصر الإسلامى ، شوقي ضيف ص ٤٥ .

(٢) هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهو أحد شعراء الجاهلية المعدودين فيها والمخضرمين ، وضعه محمد بن سلام فى الطبقة الثالثة أنظر طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحى قرأه وشرحه محمود محمد شاكر السفر الأول ص ١٢٣ ، وكذا الأغانى تأليف أبى الفرج الأصفهانى ، تحقيق عبد السلام محمد هارون جـ١٥ ص ٣٦١ .

(٣) يشغب : أى يحد عن الحق ..

(٤) جمهرة أشعار العرب تأليف أبى زيد بن الخطاب القرشى ص ٦٩ .

(٥) العمدة فى صناعة الشعر ونقده تأليف أبى على الحسن بن رشيق القيروانى تحقيق وشرح مفيد محمد قميحة جـ١ ص ٢٣ .

ومجمل القول أن صحابة رسول الله ﷺ وقفوا من الشعر والشعراء الموقف ذاته الذى وقفه الرسول ﷺ والذى حددنا منهجه فيه من قبل ، وهو منهج - كما رأينا - نابع من القرآن ومن هديه . وكذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم ما وافق الحق يروونه ويستمعون إليه ، ومالم يوافق الحق يستنكرونه وقد يعاقبون عليه ، مثلما فعل عثمان بن عفان مع ضابئ الذى مرّ بنا ، ومثلما فعل عمر بن الخطاب مع الحطيئة [1]، فقد حبسه حين أقذع فى هجائه للزبرقان ابن بدر ، وكان سبب هجائه له أنه صادفه بالمدينة ، وكان قَد قَدِمها على أول خلافة عمر رضى الله عنه فقال الحطيئة ، وَدِدْتَ أنّى أصبت رجلاً يكفينى مؤونة العيش وأصفيه مديحى وأخلصه له ، فرد الزبرقان ، قد أصبته تَقَدَّم على أهلى فإنى على إثرك ، فقدم فنزل بداره وأرسل الزبرقان إلى أمرأته أن أكرمى هذا الرجل ، وفزع بنو أنف الناقة - إذ كانوا ينافسون عشيرة الزبرقان - حين علموا ذلك ، وعملوا على أن يفسدوا العلاقة بينه وبين أمرأة الزبرقان ، وكانت قد جفته وتراخت فى استقباله ، وأتيحت بذلك الفرصة لبنى أنف الناقة ، فضموا الحطيئة إليهم ، وبالغوا فى ضيافته وإكرامه ، وانطلق يُثنى عليهم معرضاً بالزبرقان بمثل قوله يخاطبه :

دَعِ المَكَارِمَ لا تَرْحلْ لِبُغْيَتِهـــــا .·. واقعُدْ فإنكَ أنْتَ الطاعِمُ الكاسِى [2]

فاستعدى عليه الزبرقانُ عُمر ، محكم حسّان بن ثابت فيه ، فلما حكم بأنه هجاه حبسه . ثم أخذ الحطيئة يستعطفه بأبياته المشهورة التى تقول :

---

(١) هو الحطيئة أبو مُلَيْكَة ، جَرْوَلُ بن أوس بن مالك بن جُؤَيَّة بن مَخْزُوم بن مالك بن غالب ابن قطيعة بن عبس بن بغيض بن رِيْث بن غطفان ، أنظر طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحى قرأه وشرحه محمود محمد شاكر السفر الأول ص ٩٧ .

(٢) الكاسى يريد المطعوم المكسو . ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت تحقيق نعمان محمد أمين طه ص ٥٠ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة .

مَاذا تقـــــول لأفْراخٍ بذِى مَرَخٍ .·. حُمْرِ الحَواصِلِ لاماءٌ ولا شَجَرَ(١)
غَيَّبْتَ كَـاسِبَهُمْ فى قَعْرِ مُظْلِمَـةٍ .·. فـاغْـفِرْ عَلَيْكَ سَـلامُ اللهِ يا عُمَرُ(٢)

فرق ولان له قلب عمر ، فعفا عنه وأخرجه من حبسه وقال له : إياك والهجاء المقذع ، قال وما المقذع يا أمير المؤمنين ؟ قال : المقذع أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشراف وتبلى شعراً على مدح لقوم وذم لمن تعاديهم فقال أنت والله يا أمير المؤمنين أعلم منى بمذاهب الشعر (٣). ويقال ان عمر - رضى الله عنه - اشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم (٤).

ومجمل ما يمكن أن نقوله فى موقف الإسلام من الشعر ، أن الإسلام ميز بين الشعر فكرة - وقد عرفنا طبيعة الموقف الذى اتخذه فى هذا الجانب - وبين الشعر فناً .فهو لم يعاد الشعر فنياً ولم يمسه ولم يحكم عليه من حيث هو شعر ، وإنما نظر إليه كأداه ينبغى أن تسخر لخدمة الخير ، وفى سبيل ارساء الأخلاق والقيم الجديدة فى المجتمع الإسلامى الجديد ، والموروث منه مما وصل عن مجتمع ما قبل الإسلام يقبل منه ماوافق الحق ، ودعا إلى الفضائل ، ويترك منه مالم يوافق ذلك ، فالإسلام لم يجاف التقاليد الفنية للقصيدة الموروثة ، لأنه يدرك قيمتها ودورها ، فوجدنا الرسول ﷺ والصحابةُ يعبرون عن ارتياحهم لكثير من قصائد العصر السابق للإسلام ، لأنها تمثل - فى نظرهم - النماذج الفنية الجديدة

(١) ذو مرخ : واد بالحجاز. الافراخ : صغار الطير شبه بها أولاده أنظر المصدر نفسه ص١٩٢ .
(٢) ديوان الحطيئة تحقيق نعمان محمد أمين طه ص ١٩٢ .
(٣) العمدة فى صناعة الشعر ونقده لابن رشيق جـ٢ ص ٣٨٠ .
(٤) الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى جـ٢ ص ١٧٩ وكذا طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحى تحقيق محمود محمد شاكر السفر الأول ص ١١٤ . وكذا تاريخ الأدب العربى العصر الإسلامى شوقى ضيف ص ٩٧ . ،كذا الأدب فى صدر الإسلام وعصر بنى أمية ، أ.د أحمد عبد الغفار عبيد ص١٢٧ .

للشعر ، ورأينا استمرار النموذج القديم للشعر حتى فى الإسلام ، فوجدنا فى شعر حسان وكعب بن مالك ، وغيرهم الالتزام بنفس التقاليد الفنية ، التى استخدموها فى عصر ما قبل الإسلام ، لأن الإسلام فى هذا السياق لم يُحدِّد الشاعر ، ولم يفرض عليه التزام نمط فنى خاص فى شعره . كأن يبدل المقدمات الغزلية أو الطللية ، أو يغير جوانب أخرى فى مستلزمات القصيدة . فاستمر الإطار العام للقصيدة العربية - كما هو - رغم ما أحدثه الإسلام من تغييرات كبيرة فى حياة العرب . ولم تصبه سوى تغيرات جزئية بسيطة . وهذا ما يمكن ملاحظته فى خلو بعض القصائد الإسلامية من المقدمات الطللية أو الغزلية ، وفى قصائد كعب بن مالك على وجه التحديد ، وربما كان الأمر راجعاً ، إلى ضياع مطالع قصائده ، أو إلى عوامل السرعة ، والارتجال ، لملاحقة الأحداث ... وقد يكون متعمداً ذلك لينزه شعره من معالم الوثنية التى يمكن أن يرمز إليه ذكر الأطلال [1] ، .

(١) ديوان كعب بن مالك الأنصارى - دراسة وتحقيق سامى مكى العانى ص ١٢٧ الطبعة الأولى ١٩٦٦ نطبعة المعارف . بغداد .

ثانياً : ضعف الشعر في صدر الإسلام

إما القضية الثانية وهى قضية ضعف الشعر فى صدر الإسلام فلعل أول من أثارها هو عبد الملك بن قريب الأصمعى المتوفى سنة (٢١٥هـ) فقد أثر عنه أنه قال : « الشِّعْرُ نَكِدٌ بابُه الشَّر فإذا دخل فى الخير ضعف. هذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية فلما جاء الإسلام سقط شعره [١] ».

وروى أنه قال : « حسان بن ثابت أحد فحول الشعراء ، فقال له أبو حاتم : تأتى له أشعار لينه . فقال الأصمعى : تُنْسَب إليه أشياء لا تصحُّ عنه [٢] ».

فقد يقول قائل إنَّ هناك تناقضاً بين القولين الذى رواه ابن قتيبة والذى رواه ابن عبد البر ، فأقول ليس هناك من تناقض لأن الأصمعى فى رأيه الأول يتحدث عن شعره الصحيح النسبة إليه وهو شعر- مع ما فيه من لين يتصل بما قاله فى الإسلام- لايبعده عن الفحول أما هذا الشعر الذى عناه أبو حاتم ففيه من الركاكة والأسفاف ما يبعده عن الفحولة ولذا نفى الاصمعى عنه ذلك وروى المرزبانى عن الأصمعى ما رواه ابن قتيبة مع زيادة ذكر أن الأصمعى قال : « طريق الشعر إذا أدخلته فى باب الخير لان . ألا ترى حسان بن ثابت علا فى الجاهلية والإسلام فلما دخل شعره فى باب الخير من مراثى النبى ﷺ ، وحمزة وجعفر رضى الله عنهما وغيرهما لان شعره وطريق الشعر هى طريق الفحول مثل أمرئ القيس وزهير والنابغة من صفات الديار والرحلة والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الحمر والخيل والافتخار فإدا أدخلته فى الخير لان [٣] ».

---

(١) الشعر والشعاره تأليف أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة جـ١ص٢٢٤ .

(٢) الاستيعاب فى معرفة الاصحاب لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر تحقيق على محمد البجاوى القسم الأول ص ٣٤٦ .

(٣) الموشح لأبى عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى ض ٥٩ الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ . المطبعة السلفية القاهرة .

ولقد تتابعت كتب القدماء فى شأن ضعف الشعر فى صدر الإسلام فوجدت أقوال الأصمعى هذه منثورة بين الكتب ، ووجدت ابن سلام يقف موقفاً خاصاً من الشعراء المخضرمين ، حيث قسم الطبقات بين الجاهليين والإسلاميين ، ولم يفرد للمخضرمين طبقات خاصة ، لأن هذا فى الحقيقة ليس دليلاً على عدم تأثير الإسلام فيهم بقدر ما هو دليل على مجرد وجهة نظر له ، فضلاً عن أنه فى الوقت نفسه قد وضع بعض المخضرمين فى طبقات الشعراء الجاهليين وبعضهم الآخر فى طبقات الإسلاميين .

والقضية لاتنحصر فى موقفه هذا من الشعراء المخضرمين وإنما يجئ الاعتماد أيضاً فى الحكم على ضعف الشعر بعد الإسلام على ما جاء فى قوله : « فجاء الإسلام ، فتشاغلت عنه العربُ ، وتشاغلوا بالجهاد وغزْو فارس والرُّوم ، ولَهَتْ عن الشعر وروايته . فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوحُ ، وأطمأنت العرب بالامصار ، راجعوا رواية الشّعر ، فلم يَوولُوا إلى ديوانٍ مُدَوَّن ولا كتاب مكتوب ، وألْفَوْا ذلك وقد هلك من العرب مَنْ هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقلَّ ذلك وذهب عليهم منه كثير[1] ».

وحديث ابن سلام واضح لايحتاج إلى تبيان ، وهو - على وضوحه - يتناول فكرتين لا فكرة واحدة ، فهو - أولاً - يعلل إنشغال العرب عن الشعربالجهاد ونشر الدعوة والفتوحات ، ويعمم هذا الإنشغال على الشعر وروايته ، فهو لم يقصر حديثه على الرواية ، بحيث يظن أن العرب إن إنشغلوا عن رواية الشعر ، فلم ينشغلوا عن

(١) طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحى قرأه وشرحه محمود محمد شاكر السفر الأول ص ٢٥ .

إبداعه بل أن استغراقهم فى إرساء وترسيخ دعائم الدين الجديد قد صرفهم عن النظم والرواية معاً .

ثم هو - ثانياً - يتخذ من هذا التشاغل تفسيراً لقلة ما وصلنا من الشعر العربى القديم ، فقد كان هذا الشعر يعتمد فى نقله على الرواية والمشافهه ، وقد هلك فى الغزوات ومسيرات الفتح من رواته وحفظته كثيرون ، ومن ثم ذهب معظمه ، ولم يبق إلا أقله .

ومن هنا نستطيع أن نقول إن دعوى ابن سلام هذه مع تقسيمه لطبقات الشعراء كان لها أكبر الأثر فى توجيه أحكام الباحثين وجهة لانرى أنها على صواب . ومما يتصل بهذه الأحكام فكرة التعويض الفنى أو الاستعاضة بالقرآن عن الشعر ، فما كان هدف القرآن وقد إرتدى هذا الثوب البيانى المعجز أن يكون بديلاً عن الشعر فالدلائل كلها تدل على أن الشعر على وجه الخصوص والحركة الأدبية بوجه عام قد سارت جنباً إلى جنب مع القرآن والدعوة التى يدعو إليها .

وإذا كان الإسلام قد وجه الشعر الوجهة التى تتلاءم مع قيمه وتعاليمه وتهدر قيم الجاهلية التى تتنافر معه ، فليس فى هذا معنى الاستعاضة عن الشعر بالقرآن ، فقد جرى الشعر العربى مجراه عبر الزمان دون أن يحدث شئ من هذه الاستعاضة .

تقول الدكتوره عائشة عبد الرحمن : « لقد عاش العرب طويلاً والأدب فنهم الأوحد ، ووسيلتهم التى لا نعرف أنهم كانوا يملكون سواها للتعبير عن وجدانهم ، وجاء الإسلام بمعجزة بيانية ، فكانت هذه المعجزة آية تقدير لمكان البيان فيهم ، ومنزلته عندهم ، بقدر ما كانت شاهداً على أن الإسلام لم يجئ ليعطل البيان ، بل

أقر وظيفته فى المجتمع وأبقى لذويه ماكان لهم من قديم ، من شرف القيادة الوجدانية والتكلم بلسان الجماعة [1] ».

وهذا « ابن خلدون » فى مقدمته لا يكتفى بترديد رأى « ابن سلام » وإنما يعمم كلامه - فيجعل انصراف العرب لا عن الشعر وحده وإنما عن النثر كذلك ، ويبالغ فى تصوير هذا الانصراف ، فيقول : « ثم انصرف العَربُ عن ذلك أوّل الإسلامِ ، بما شغلهم من أمر الدينِ والنُّبوةِ والوحيِ ، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه ، فأُخر سِوا عن ذلك ، وسكتوا عن الخوض فى النظم والنثر زماناً . ثم استقرَّ ذلك وأونس الرُّشْدُ من المِلّة . ولم ينزل الوحىُ فى تحريمِ الشعر وحَظْرِه ، وسمعه النبى ﷺ وأثاب عليهِ ، فرجعوا حينئذ إلى دِيْنِهِم منه [2] ».

فأبن خلدون يتعقب خطى ابن سلام فى ربطه بين انشغال الرعيل الأول بأمر الدين وانصرافهم عن الشعر وقلة العطاء الشعرى فى صدر الإسلام . وهو لا يخص بحديثه شعراء المسلمين ، حتى يفهم منه أن هذا التشاغل كان مقصوراً عليهم ، وأن سواهم من شعراء قريش كانوا فى فسحة من ألسنتهم يقولون ما يشاءون كما كانوا يقولونه فى الجاهلية ، لأن أمور « الدين والوحى والنبوة » لم تكن مشغلة للمسلمين وحدهم ، بل كانت كذلك بالنسبة للمشركين أيضاً ، فالمسلمون مهتمون بهذه الأمور اهتماماً إيجابياً ، بالدعوة إليها ، والمنافحة والدفاع عنها ، والمقارعة بحد السيف فى سبيلها ، المشركون مهتمون بها اهتماماً سلبياً مضاداً ، ويرفعون دين آبائهم وأجدادهم فى مقابلة هذا الدين الإسلامى الجديد ، ويضعون

---

(١) قيم جديدة للأدب العربى القديم والمعاصر ، عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ص٨٣ . بالقاهرة ١٩٦٦- ١٩٦٧ .

(٢) تاريخ العلامة ابن خلدون كتابُ العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر وهو تاريخ وحيد عصره العلامة عبد الرحمن ابن خلدون المغربى ص١١٢٢ دار الكتاب اللبنانى - بيروت لبنان ومكتبة المرسة بيروت - لبنان ١٩٨٢م .

وثنيتهم تجاه ما يدعو إليه من وحدانية ، ويتصدون للنبوة والوحى بالتجهيل والتسفيه والمكابرة . لقد أحدثت الدعوة الإسلامية الجديدة دوياً لم يفلت من آثاره الأنصار والأعداء ، على حد سواء .

ثم أن ابن خلدون يضيف إلى ذلك تعليلاً آخر لا يخلو من وجاهة ، وهو انبهار المسلمين بالبيان القرآنى المعجز وإحساسهم بالقصور والعجز إزاء بلاغته العالية ، وقناعتهم بمتعة قراءته ومدارسته وحفظه وهى متعة أغنتهم عن كل متعة أخرى .

والواقع أن قول « ابن خلدون » لا يخلو من تناقض ، وهذا ما يلاحظه الدكتور « شوقى ضيف » ، إذ يقول : « وكأنه يجعل توقفهم عن الشعر مدة تزول الوحى لعصر الرسول ، وواضح أن هذا لا يصدق على المشركين لأنهم لم يُشْغَلُوا بالدعوة ، ومعروف أن جمهور القبائل العربية إنما دخل فى الإسلام بعد فتح مكة فى العام الثامن للهجرة . وإذن فانصرافهم عن الشعر - إن صح - إنما كان لمدة عامين أى إلى أن انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى . وهو نفسه ينقض ما قاله فى أول كلامه بما قاله فى آخره من أن الرسول سمع الشعر وأثاب عليه ...

وحتى فى العامين الأخرين من حياته عامى الوفود كان كل وفد يقوم ومعه خطباؤه وشعراؤه وبمجرد أن يمثلوا بين يديه يتحدث خطباؤهم وينشد شعراؤهم ويرد عليهم خطباء الرسول ﷺ وشعراؤه[1] ».

ولهذا فإنه حتى الفترة التى افترضها الدكتور « شوقى ضيف » أو رأى أن من الممكن افتراضها ليصدق عليها قول « ابن خلدون » فهى غير صحيحة . إذ كيف يصح ذلك وهذان العامان نفسهما هما عاما الوفود ،ومع الوفادة يكثر القول

(١) تاريخ الأدب العربى العصر الإسلامى ، شوقى ضيف ص ٤٣ .

وتكثر المحاجة ، ويتبارى الجانبان شعراً فقول « ابن خلدون » لا يتلاءم والكثرة الكاثرة من الشعر التى نجدها فى دواوين الشعراء الذين واكبوا أول الإسلام وفى كتب السير والأخبار التى سجلت أحداث الإسلام الأولى وما قيل فيها من أشعار .

وإذا كان الذين جاءوا بعد الأصمعى من القدماء قد وقفوا من قضية ضعف الشعر فى صدر الإسلام موقف الاصمعى حيث رددوا أقواله فى هذا الخصوص ، ونستطيع أن نستخرج من أقوال الأصمعى شيئين أحدهما : أنه يرجع ضعف الشعر فى الطور الأول من الإسلام إلى الأغراض ذاتها ، فالأغراض التى نظم فيها المخضرمون أشعارهم بعد الإسلام والمعانى التى تناولوها فى هذه الأغراض هى التى أدت إلى ضعف شعرهم فى الإسلام ، ومقولة الأصمعى الآنفة الذكر تؤكد هذه الحقيقة وتدعمها و لانه جعل أطوار حسان بن ثابت مرهونة بالشر والخير فى حالتيه ، وما الشر إلا مرادف للجاهلية وقيمها ، وما الخير إلا الإسلام ومثله العليا. والآخر خاص بشعر حسان بن ثابت وهو أن جملة من الشعر الركيك المسف الذى ينسب إلى حسان ليست له ولا تصح عنه وإنما هى منحولة محمولة عليه .

وكذلك نجد أن الباحثين المعاصرين الذين قالوا بضعف الشعر فى صدر الإسلام قد داروا فى فلك أقوال الأصمعى أيضاً ، فكما جعل الأصمعى حسان بن ثابت نموذجاً يستشهد به على ضعف الشعر ذى المعانى الدينية جعل المعاصرون حساناً نموذجاً أيضاً ، وأخذوا يؤكدون ما قاله الأصمعى ترديداً صريحاً أو ضمناً ، فنجد أن أحمد حسن الزيات يقول عن شعر حسان بن ثابت فى الإسلام « ولكن كثير من شعره فى هذا الطور كان خشيباً فكثر به السقّط ، وقلت فيه الجزالة ، وغلبت عليه السهولة ، فرأى الأصمعى أن شعره لم يقو إلا فى الشر ، فلما جاء الإسلام بالخير ضعف [1] ».

(١) تاريخ الأدب العربى أحمد حسن الزيات ص ١٥٣ .

وعمر فروخ يردد الشئ نفسه فيقول « حسان بن ثابت كثير الشعر جيده ، وهو أشعر أهل المدر غير أنه كان فى الجاهلية أشعر منه فى الإسلام ثم يورد قول الأصمعى الذى رواه ابن قتيبة فى ـ الشعر والشعراء ـ [1]» .

وتمضى الدعوى على هذا النحو فتتردد فى بحوث الباحثين لترى أن القرآن صرف الشعراء عن الشعر ، وأن الشعر فى صدر الإسلام قد جف تياره ونضب ماؤه ، أو أن تأثير الإسلام فى الشعر قد انحسر عن أثر ضئيل لا يكاد يبين ، وهذا ما يؤكده الدكتور عبد الحكيم حسان بقوله : « وحتى رواية الشعر الجاهلى فى صدر الإسلام أصابها ما أصاب الإبداع من ركود ، لأن كثيراً من هذا الشعر لا يتفق وروح الحياة الجديدة من ناحية ... ويقول : وقد استأثر حفظ القرآن ودراسته بما كان يجده المسلمون من اللحظات القليلة التى يخلون فيها إلى أنفسهم ، وينفضون عنهم فيها غبار المعارك ... وهكذا شأن الشعر ، فقد أصابه الركود فى هذا العصر ، لأن تقاليده القديمة لم ترض عنها الحياة الجديدة ، ولأن الوقت لن يسعفه بعد ليضع لنفسه تقاليد جديدة .

ومن هناجاء ما قيل من الشعر فى هذه الفترة أضعف مما قاله نفس الشعراء من شعر فى العصر الجاهلى ، وقد أطلق على شعراء هذه الفترة اسم المخضرمين ، وأبى ابن سلام فى كتابه « طبقات الشعراء » إلا أن يقرنهم إلى الجاهليين . لقد كانت الفترة ما بين ظهور الإسلام وانتهاء حكم الخلفاء الراشدين بالنسبة للشعر فترة انبهار بالحياة الجديدة وحيرة فيها ، ودهشة لها، وهى فى نفس الوقت بمثابة استجماع القوة للتهيؤ للوثبة التالية التى وثبها الشعر فى عهد بنى أمية [2] » .

---

(١) تاريخ الأدب العربى عمر فروخ جـ١ ص ٣٢٦ الطبعة الرابعة ١٩٨١م طبعة دار العلم للملايين .

(٢) التصوف فى الشعر العربى ـ نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث الهجرى ، عبد الحكيم حسان ص ١٣٣ القاهرة ١٩٥٤ .

ويقول : « فقد أخذ البغاء ينسجون على منوال القرآن فى الأساليب النثرية ، فى حين فتر الشعراء وانصرف كثير منهم عن الشعر اكتفاء بالقرآن كما فعل لُبَيد [1] ».

فقد استند إلى رأى ابن سلام الذى سبق أن قلنا إنه كان له أكبر الأثر فى توجيه - أحكام الباحثين القائلين بضعف الشعر فى صدر الإسلام ونحن نخالفه فى زعمه بأن « لبيداً [2] » اكتفى بالقرآن عن قول الشعر وهو الزعم الذى ردده النقاد القدامى والباحثون المحدثون الواحد عن الآخر - أكثر من ألف مرة دون مبالغة - بل لا يزال يردد عن بعض الباحثين حتى الآن ، من ذلك ما قاله الدكتور محمد عبد العزيز الكفراوى : « وظاهر الآية (آية الشعراء) أن الشعر بجميع أنواعه وألوانه غير مرغوب فيه إلا إذا جرى فى ركاب الدعوة الجديدة ، وقد تقيد الصحابة بتلك الآية حرفياً ، فأقسم لبيد ألا يقول شعراً ، ووقف الباقون مواهبهم على خدمة الدعوة برد هجمات قريش ، حتى إذا وضعت الحرب الأدبية بين قريش والرسول ﷺ أوزارها لاذوا بالصمت [3] ».

ومع هذا فقد ثبت أنه زعم مردود غير صحيح . لاحظ ذلك (كارل بروكلمان) فى وقت مبكر حين قال : « وقد قيل إن لبيداً لم يقل شعراً فى الإسلام ، وليس هذا صحيح ، فإن كثيراً من شعره مطبوع بطابع الوحى ، ويبعد أن تكون كل هذه الأبيات منحولة ، وإن ظهر فيها شئ من التزيد عليه [4] ».

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ١٣٢ .

(٢) « لبيد » هو لبيد ربيعة بن جعفر بن كِلاب الشاعر المشهور يقول عنه ابن سلام « كان عذب المنطق رقيق حواشى الكلام ، وكان مُسلِماً رجلٌ صدْقٍ » انظر طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحى قرأه وشرحه محمود محمد شاكر السفر الأول ص ١٣٥ .

(٣) الشعر العربى بين الجمود والتطور محمد عبد العزيز الكفراوى ص ٤٠ .

(٤) تاريخ الأدب العربى كارل بروكلمان نقله إلى العربية عبد الحليم النجار ص ١٤٥ القاهرة ١٩٥٩ م .

ويقول الاستاذ أحمد الشايب : « وأما لبيد فقد سكت عن الشعر احتفالاً بالقرآن ، وقالوا إنه قال فى الإسلام بيتاً واحداً ، ولكن هذا القول مردود لأن فى ديوانه قصيدة يوصى بها بناته قبل وفاته ، وقد عاش فى الإسلام أكثر من أربعين سنة [1] ».

ثم لما طبع « شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامرى » عام ١٩٦٢م ظهرت الحقيقة بمالا يدع مجالاً للشك ، يقول الدكتور إحسان عباس فى مقدمته : « وكان لبيد قد أصبح شيخاً ، وربما كان قد تجاوز الثمانين أو قاربها وأثرت فى نفسه وفاة أخيه لأمه فرثا بالرجز والقصيد ، ويبلغ مجموع ما تبقى من مراثيه أرجوزة واحدة وعشر قصائد (انظر القسم الثانى من هذا المجموع) ـ وكل هذه المجموعة مما قاله وهو مسلم ، وبذلك تنتفى الرواية التى تدعى أنه لم يقل فى الإسلام إلا بيتاً واحداً من الشعر بل إن هذا البيت نفسه ليس للبيد ». ويقول : « ولم تكن مراثيه فى أربد كل ما قاله فى الإسلام بل يضاف إليها (القصيدة ١، ٨) ففيهما يذكر أبا براء ويرثيه ويذكر فقد عامر بن الطفيل ويضاف إلى هذه أيضاً قصائد أخرى مما قاله فى الإسلام ... [2] » .

ومن هنا يتضح لنا كيف أثر الإسلام فى شعر شاعر من الشعراء المخضرمين عاصر الجاهلية وعصر النبوة وامتد به العمر بعد ذلك وقال الشعر فى هذه المراحل جميعها حتى حلت به الشيخوخة ، ومع هذا فقد بلغ ضعف تأثير الإسلام فيه عند النقاد مبلغ من كف عن قول الشعر وانصرف عنه حتى لم يقل إلا بيتاً واحداً ، فذهبت مثلاً ، وسارات به الركبان ورده الباحثون . تحت تأثير

---

(١) تاريخ الشعر السياسى إلى منتصف القرن الثانى . أحمد الشايب ص ٨٨ الطبعة الثانية ١٩٥٣م .

(٢) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامرى تحقيق إحسان عباس ض ٢٧ - ٣٣ ، الكويت ١٩٦٢م.

هذه الفكرة الواهمة التى بدلت الحقيقة تبديلاً ، وبلغت فى نظرتها إلى إضعاف الإسلام للشعر إلى هذا الحد .

ولعل الذى دفع بعض الباحثين إلى القول بتوقف لبيد عن الشعر هو تلك الرواية التى تقول : ان عمر ـ رضى الله عنه ـ قد كتب إلى عامله بالكوفه ان سل لبيداً والأغلب ما أحدثا من الشعر فى الإسلام فأجاب لبيد بأن الله قد أبدله بالشعر سورة البقرة وآل عمران فزاد عُمَر فى عَطَائِهِ فبلغ بع ألفين (١) .

وهى رواية يمكن أن نوجهها بأن عمر ربما يكون قد طلب شعراً بعينه ، ولم يكن عند لبيد هذا الشعر فاعتذر بما أعتذر به . وإذا كان عمر قد كافأه بزيادة عطائه فإن هذه المكافأة لم تكن بسبب أن عمر يسره أن يترك الشعراء قول الشعر بأن هذا يخالف كل ما روى عنه من مواقف نحو الشعر والشعراء بل يتنافى واهتمامه بالسؤال عما أحدثه الشعراء الغائبون عنه من شعر ، وإنما كان ذلك ـ فى رأينا ـ بسبب أن عمر يعلم أن الشعراء حتى بعد مجئ الإسلام يستطيعون أن يحققوا لأنفسهم وسيلة تزيد من العائد المادى الممثل فى العطاء فلما أجابه لبيد بما أجاب رأى أن يزيد فى عطائه المادى حتى يعوِّضه عما يحققه غيره من الشعراء .

أما الدكتور « شوقى ضيف » فنراه يرد على الأصمعى بالاصمعى وذلك حين يقول : « والحق أن شعر حسان الإسلامى كثُرَ الوضع فيه ، وهذا هو السبب فيما يشيع فى بعض الأشعار المنسوبة إليه من ركاكة وهلهلة لا لأن شعره لان

(١) طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحى قرأه وشرحه محمود محمد شاكر السفر الأول ص ١٣٥ ـ ١٣٦ ، وكذا الأغانى تأليف أبى الفرج الأصفهانى تحقيق عبد السلام محمد هارون جـ١٥ ص ٣٦٩ .

وضعف فى الإسلام كما زعم الأصمعى ولكن لأنه دخله كثير من الوضع والانتحال [1] ».

وهذا التعليل هو التعليل نفسه الذى قال به الأصمعى لينفى عن حسان بن ثابت الركاكة والأسفاف التى تبعده عن الفحول ولا ينفى عنه اللين فى الأشعار ذات الصبغة الإسلامية الصحيحة النسبة إليه كما أوضحنا .

وأغلب الظن أن مؤلفو المفصل فى تاريخ الأدب العربى كانوا أكثر الباحثين تعليلاً وإضافة فى ضعف شعر حسان فى الإسلام ، فهم وإن كانوا لم يبعدوا كثيراً عما قاله الأصمعى فقد أضافوا عدة تعليلات بلغوا بها خمسة هى :

١ ـ انبهار حسان بن ثابت بما جاء فى القرآن الكريم وبما نطق به الرسول ﷺ .

٢ ـ عللوا ضعف شعر حسان فى غير الهجاء للسبب نفسه الذى قال به الأصمعى فى رواية ابن قتيبة .

٣ ـ ما علله حسان بن ثابت نفسه حين قيل له : لان شعرك أو هرم فى الإسلام يا أبا الحسام فأجاب : إن الإسلام يحجز عن الكذب والشعر يزينه الكذب .

٤ ـ إن كثيراً من شعر حسان قاله وهو قد ناهز الستين من عمره ، وللشيخوخة آثارها فى ضعف قوة الشاعرية والأسلوب .

٥ ـ إن كثيراً من الشعر الذى قاله حسان فى الإسلام قاله ارتجالاً فى معظم مواقف الدفاع عن الرسول ﷺ والرسالة ، والشعر المرتجل دائماً لا يكون فى قوة الشعر الذى أعده صاحبه وهذبه ونقحه [2] .

---

(١) تاريخ الأدب العربى العصرالإسلامى ، شوقى ضيف ، ص ٨١ .

(٢) المفصل فى تاريخ الأدب العربى للإسكندرى وأحمد أمين وعلى الجارم ص ١٠٧ وما بعدها ، مكتبة الآداب القاهرة ، وكذا الأدب العربى وتاريخه سليمان الأغانى ومحمد خفاجى وحسن جاد جـ١ ص ٦٤ طبعة محمد على صبيح ، القاهرة ١٩٥٥م .

ولكننا نجد الدكتور : عمر رضا كحالة ، يخرج عن دائرة الأصمعى قليلاً حين يرجع ظاهرة الضعف هذه لسببين :

الأول : أن الجو قد تغير على الشعراء المخضرمين فلم يستطيعوا مجاراته دائماً .

والثانى : أن جملة من شعراء هذه الفترة كانوا مغمورين فلم يقولوا من الشعر إلا القطع فى المناسبات (١) .

ولكننى لا أردى ماذا يقصد بتغير الجو فى عبارته السابقة فإن كان قد قصد بها تغير الأغراض والمعانى فهو لم يبعد عن قول الأصمعى وإن كان قد قصد بها التطور الهائل الذى أحدثه الإسلام وهو تطور سريع عجز الشعراء المخضرمين عن تمثله لأن التغيير الفكرى والاجتماعى لا يترك أثراً مباشراً وسريعاً فى الفنون . فلابد من مرور وقت كاف لكى يعيش الشاعر أو الفنان فى هذا التغيير الجديد حتى تعتاده نفسه ويُشْرِبَه ذوقه ويختمر فى خياله ويرسب فى أعماق حسه ، فإنه بذلك يكون قد بعد عن الأصمعى كثيراً لا قليلاً .

أما الدكتور : عبد القادر القط ، فقد تناول القضية بشئ من التفصيل وأتى برأى جديد حين قال ان هؤلاء الشعراء - وبخاصة المسلمين منهم - قد واجهوا منذ البداية عبء الاتصال المباشر بالقيم الجديدة وما تحمله من مظاهر التغير فى المبادئ والأخلاق والقيم الاجتماعية والروحيَّة ، كما كان عليهم أن يشاركوا مشاركة مباشرة مستمرة فى المعركة من جانبها الكلامى ، ولم يكن من اليسير على شاعر قضى الجانب الأكبر من حياته فى الجاهلية كحسان بن ثابت مثلاً أن يجد لنفسه أسلوباً جديداً من الشعر يجيد التعبير عن تلك القيم والقضايا الجديدة ، ويحتفظ فى الوقت نفسه بتلك الخصائص الفنية التى نمت وتطورت فى ظل مجتمع مختلف تماماً فى قيمه وقضايا (٢) .

---

(١) الأدب العربى فى الجاهلية والإسلام عمر رضا كحالة ص ٨٩ طبعة المطبعة التعارنية دمشق ١٩٧٢م.

(٢) فى الشعر الإسلامى والأموى ، عبد القادر القط ص ١٢ .

ونراه يأتى بالجديد الذى لم يسبقه إليه أحد حين يقول : « إن ذلك الضعف الذى لحظناه فى الشعر الإسلامى كان قد بدأ قبل الإسلام لا بعده ، كان قد أنقضى عصر الفحول ، ولم يبق فى الحقيقة منهم إلا الأعشى الذى مات قبل أن يعلن إسلامه ، ولبيد الذى بلغ الستين وأوشك أن يكف عن قول الشعر ، ولم يبق عند ظهور الإسلام إلا شعراء مقلون بعضهم مجيد فى قصائد مفردة ولكنهم لا يبلغون شأو هؤلاء الفحول[1] ».

ثم نجده يفرد الحديث عن حسان بن ثابت فيتكلم عن شعره فى الجاهلية ويرى أنه يحمل مسحة مدنية تميز أسلوبه فهو يكاد يخلو من ذلك المعجم الشعرى المألوب عند فحول الشعراء الجاهليين حتى ليوشك أن يكون قريب الشبه فى لغته بلغة العصر الإسلامى نفسه ثم نجده يقول : « إن هذه اللغة المدنيَّة قد حرمته تلك النفثات النفسية والومضات الفنية الكثيرة التى تصادفها فى شعر الفحول من شعراء الجاهلية [2] ».

ثم يختم حديثه بقوله : « والحق أن حساناً لا يمكن بحال أن يعد من هؤلاء الفحول فهو دونهم فى الموهبة والمقدرة اللغوية وسعة التجربة وصدق الملاحظة ، ولعلنا لو وضعناه فى موضعه الصحيح بالنسبة إلى هؤلاء الشعراء نضع قضية ضعف شعره بعد الإسلام فى موضعها الصحيح أيضاً إذا ثبت لدينا أنه لم يكن فى قمة من قمم الإبداع فى الجاهلية ثم هوى عنها بعد الإسلام [3] ».

هذه هى الآراء الجديدة التى طرحها الدكتور « عبد القادر القط » ونحن نؤيده فيما ذهب إليه فى أن الشعراء المخضرمين لم يكونوا قادرين - وقد قضوا الجانب الأكبر من عمرهم فى الجاهلية - على إيجاد أسلوب جديد من الشعر يحسن

(١) فى الشعر الإسلامى والأموى عبد القادر القط ، ص ١٣ .
(٢) ، (٣) المصدر نفسه ، ص ٣٤ .

التعبير عن القيم والمفاهيم الجديدة مع الأحتفاظ فى الوقت نفسه بالخصائص الفنية التى تطورت فى ظل المجتمع الجاهلى المختلف فى قيمه وقضاياه عن المجتمع الإسلامى الجديد ، قد نؤيده فى هذا . ولكننا نخالفه فى أن الشعر قد ضعف قبل الإسلامى لا بعده ، ذلك لأن شعر الفحولة لم يكن مقصوراً على أصحاب القصائد الطوال فقط ، بل كان هناك شعراء عاشوا فى الجاهلية ، وليسوا من أصحاب المعلقات السبع أو العشر ولكن شعرهم كان يمثل الفحولة بالمعنى الذى حدده القدماء ، ومن هؤلاء من أدرك الإسلام ، وكان له شعر يتسم بالرصانه فقد أدرك الإسلام كعب بن زهير الذى أعجب الرسول ﷺ بشعره والحطيئة وكلاهما شاعر فحل مجيد (١)، وأدركه أيضاً النابغة الجعدى ، وهو مع ما فى شعره من تفاوت لم يخرجه القدماء من أصحاب الجودة والرصانة وقد ظل يقول الشعر الجيد إلى آخر عمره (٢).

كما أدرك الإسلام أبو ذُؤَيْب الهُذلىّ (٣)، وقد قال عنه ابن سلام : « كان شاعراً فحلاً لا غَمِيزَةَ فيه ولا وَهْن (٤)، وأجود شعره قصيدته العينية وقد قالها بعد الإسلام وبزمن ليس بقليل ، وسبب إنشاء هذه القصيدة أنه كان له أبناء خمسة هاجروا إلى مصر ، فأصيبوا بالطاعون وماتوا فى عام واحد فرثاهم بها وهذه أبيات من القصيدة التى تبلغ ثمانية وستين بيتاً ، يقول :

---

(١) وقد وضعها ابن سلام فى الطبقة الثانية من فحول الجاهلية ، أنظر طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحى قرأه وشرحه محمود محمد شاكر السفر الأول ص ٩٧ .

(٢) وقد وضعه ابن سلام فى الطبقة الثالثة ، انظر طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحى ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر ، السفر الأول ص١٢٣ .

(٣) أبو ذؤيب ، هو خويلد بن خالد ويلتهى نسبه إلى هُذَيْل وعاش فى الجاهلية وأدرك الإسلام فهو مخضرم وقد عاش فى البادية ، انظر المصدر نفسه ص ٢٢ .

(٤) المصدر السابق نفسه ص ١٣١ .

أمن المنون وريبها تتوجع ... والدهرُ ليس بمعتب من يجزع [1]
قالت أُمَيْمة مالجسمك شاحباً ... منذ أبتُذلْتَ ومثلُ مالك ينفع [2]
فأجبتها أمَّا لجسمي أنه ... أودى بَنَيَّ من البلاد فودعوا
أودى بنى فأعقبونى حسرةً ... يعد الرقادِ وعبرة ما تقلعُ [3]

فهذه الأبيات تخفى من ورائها شاعراً مجيداً يحسن التعبير فى كل الأمور التى تتصل به ، ويملك القدرة على الشعر حتى ولو بلغت به السن مبلغاً . فهذه الأبيات تبدو الفصاحة العربية الأصيلة ، وهى ليست غريبة على من عاش فى البادية عمره ، ولم يتأثر بمن تأثر بهم غيره من الأعاجم المخالطين .

وكما أدرك الإسلام الشماخ [4]الذى قال عنه ابن سلام أنه « شديدَ متْون الشِّعر أشدُّ أسرَ كلامٍ من لبيد[5] » ، كما أدركه المخبَّل السعدى وهو شاعر فحل ذكره ابن سلام فى الطبقة الخامسة [6]، كما أدرك الإسلام كل من النمر بن تولب وضابئ بن الحارث البرجمى وسُوَيْد بن كُرَاع ، وسويد بن أبى كاهل ، وسحيم عبد بنى الحسحاس ، وأميَّة بن حرثان ، وحريث بن محفض ، والكميت ابن معروف ، وعمر بن شأس بن بُلى ، وجميعهم من فحول ابن سلام [7]، وهؤلاء الشعراء وإن كانوا لا يبلغون شأو أصحاب الطوال فإنهم كانوا يقولون الشعر الجيد الذى يؤكد أن الشعر لم يصب بضعف فى الجاهلية قبل مجئ الإسلام .

---

(١) المنون : الموت وريبها : صدفها ، ويأتى من الفواجع . الاعتاب : فعل ما يرضى العاتب .
(٢) الشحوب : تغير اللون من الهزل .
(٣) أودى : هلك . أقلع عن الأمر : كف عنه . انظر ديوان أبو ذؤيب الهذلى جـ١ ص ١ نشر يوسف هل الألمان ط هـ توفر لها يدس لا فاير سنة ١٩٣٩ طبعة دار الكتب المصرية .
(٤) هو الشماخ بن ضرار بن سنان بن أمامة أحد بنى سعد بن ذُبيان من الشعراء المخضرمين وضعه بن سلام فى الطبقة الثالثة ، انظر طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام ص ١٢٣ .
(٥) المصدر نفسه ص ٦٣ .
(٦) المصدر نفسه ص ١٤٣ .
(٧) المصدر نفسه الطبقات ٦، ٨ ، ٩، ١٠ من شعراء الجاهلية .

وإذن لم يكن قد بقى من الفحول سوى الأعشى الذى مات قبل أن يسلم ولبيد الذى أوشك أن يكف عن الشعر وقد سبق ان بين موقف لبيد . ومن هنا نستطيع ان نقول ان قول الدكتور (عبد القادر القط) بأن الشعر قد بدأ يضعف فى الجاهلية قبل الإسلام قولاً غير صحيح لا يقوم على شئ ويبعد عن الحقيقة كثيراً .

كما أننا نخالف الدكتور (عبد القادر القط) فى رأيه فى حسان بن ثابت الذى حاول أن يدعم به رأيه فى ضعف الشعر قبل الإسلام ، فهو كما رأينا يعتبر حساناً دون الفحول فى الموهبة والقدرة اللغوية وسعة التجربة كما أنه لم يكن فى قمة من قمم الإبداع فى الجاهلية ثم هوى عنها بعد الإسلام . وهو رأى غريب فى حد ذاته ، ولعل وجه الغرابة فيه إنه يخالف الحكم الذى نستخلصه من القدماء عن حسان ، فالقدماء لم ينظروا إلى حسان شاعراً بين فحول أهل البادية كما فعل الدكتور (عبد القادر القط) وإنما نظروا إليه شاعراً بين شعراء القرى العربية فى الجاهلية والإسلام ، وابن سلام حين تكلم فى طبقاته عن شعراء أهل القرى وهى المدينة ومكة والطائف واليمامة والبحرين ، قال : إن أشعر هذه القرى قَرية المدينة وان شعراءها الفحول خمسة أشعرهم حسان بن ثابت [1]. ومما لا شك فيه أن الأصمعى حين حكم عليه - فيما قدمنا له من أقوال - بالفحولة لم يحكم عليه بالنظر إلى فحول أهل الجاهلية فى البادية وإنما حكم عليه بالنظر إلى هذا الاعتبار .

ومن الثابت أن حسان بن ثابت كان فحلاً كما قال الأصمعى بل إن من الشعراء الإسلاميين من كان يعده فحلاً حتى فى الإسلام ، فنجد الفرزدق يفتخر بالفحول الذين أخذ عنهم الشعر فى أبياته المشهورة المتداولة فى كتب الأدب والتى يقول فى أولها :

---

(١) طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحى ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر السفر الأول ص ٢١٥ .

وهب القصائد لى النوابغ اذ مضوا .·. وأبو يزيد وذو القــروح وجــرول

فقد قال فيها مشيراً إلى حسان وشعره فى الإسلام .

وابنا أبى سلمى زهيـــر وابنه .·. وابن الغريعة حين جد المقول (١)

فحسان بن ثابت فحل من فحول الشعراء بالحق إذا ما نظر إليه كشاعر مدنى لا بالموازنة مع فحول الشعراء من أهل البادية ، فنحن نظلم حسان حين توازنه بالفحول من شعراء البادية أصحاب المعلقات أو القصائد الطوال أو غير الطوال ،وإنما يجب أن ضعه بين شعراء القرى .

وعلى ذلك فإن النتيجة التى ينبغى أن نتوصل إليها من خلال هذه الآراء والأحكام التى مرت بنا على نحو ما سبق سواء كانت قريبة منا أو بعيدة فإننا نؤكد نقض الفكرة التى شاعت فى أوساط الباحثين من عرب ومستشرقين فى زعمهم أن الإسلام انحسر عن أثر ضئيل نحيل فى أشعار المخضرمين ، وهو زعم يسرف فى تجاوز الحق ، ، فقد أتم الله على هؤلاء الشعراء نعمة الإسلام ، وانتظم كثيرون منهم فى صفوف المجاهدين فى سبيل الله داخل الجزيرة العربية وفى الفتوح . وهم فى ذلك كله يستلهمون الإسلام ، ويعيشون له ، ويعيشون به ، يريدون أن ينشروا نوره فى أطباق الأرض ، وقد مضوا يصدرون عنه فى أشعارهم الشذى عن الأزهار الأرجة (٢) ،.

ومن يقرأ المصادر القديمة من كتب الأدب والتاريخ مثل الأغانى والطبرى وسيرة ابن هشام وكتب الصحابة مثل الإصابة والاستيعاب فسيجد الشعر يسيل

---

(١) ديوان الفرزدق ص ٧٢٠ طبعة القاهرة ، وأراد بأبى يزيد المخبل السعدى ، وبذى القروح امرأ القيس ، وبجرول الحطيئة ، وأراد بابن القريعة حسان بن ثابت .

(٢) تاريخ الأدب العربى العصر الإسلامى ، شوقى ضيف ، المقدمة ص ٥ .

على كل لسان ، ومن يقرأ أيضاً المفضليات والأصمعيات فسيجد المفضل الضبى والأصمعى يحتفظان فى كتابيهما بغير مطولة للمخضرمين ، كما نجد ابن قتيبة فى الشعر والشعراء يعقد تراجم لكثير من الشعراء المخضرمين كما سلك ابن سلام فى طبقاته طائفة من الشعراء المخضرمين المجودين البارعين فلم يكن من المعقول أن يجهل العرب فى عصر النبوة سلطان الكلمة ونفوذها فى كل ما يعرض لهم من صراع ، وهم الذين عرفوا قدرها بالأمس ، وأعلوا شأنها فى الجاهلية سواء أكانت بيت شاعر أو قول حكيم أو خطيب . ومعروف أن الرسول ﷺ فى دعوته كان أشد ما يكون حاجة إلى ذلك كله ، لأن نشر الدعوة كان الاعتماد الأول فيه على الكلمة والإقناع وما كانت غزواته عليه السلام حرباً من أجل الحرب أو العدوان . وإنما كانت دفاعاً عن حوزة الدين وصوناً لكيانه . ولذلك كان توجيه الدعوة للأدب كفيلاً بأن يحميه فى هذا العصر من الضعف ، أو يتجه به إلى الركود والخمول .

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ إحياء علوم الدين للإمام الغزالى مع مقدمة فى التصوف الإسلامى ودراسة تحليلية لشخصية الغزالى وفلسفته فى الإحياء بقلم الدكتور بدوى طبانة ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه .

٣ ـ الأدب العربى فى الجاهلية والإسلام عمر رضا كحالة ـ طبعة المطبعة التعاونية ، دمشق ١٩٧٢م.

٤ ـ االأدب العربى وتاريخه ـ سليمان الأغانى ومحمد خفاجى و حسن جاد ـ طبعة محمد على صبيح القاهرة ١٩٥٥ م .

٥ ـ الأدب فى صدر الإسلام وعصر بنى أمية ، أ.د/ أحمد عبد الغفار عبيد ١٩٩٦م.

٦ ـ الأدب فى موكب الحضارة الإسلامية كتاب الشعر ، مصطفى الشكعة ، الطبعة الثانية ١٩٧٤م ، دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت .

٧ ـ الاستيعاب فى معرفة الأصحاب : لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن حجر العسقلانى تحقيق على محمد البيجاوى .

٨ ـ أسد الغابة فى معرفة الصحابة عز الدين أبو الحسن الجزرى بن الأثير (٦٣٠هـ) تحقيق محمد ابراهيم البنا ، محمد أحمد عاشور دار الشعب ، القاهرة ١٩٧٠م.

٩ـ الإصابة في تمييز الصحابة : تأليف أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن حجر العسقلانى ، تحقيق على محمد البيجاوى ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة .

١٠ـ الأغانى : تأليف أبى الفرج الأصبهانى طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر .

١١ـ البيان والتبيين : أبى عثمان بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الرابعة ، الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة .

١٢ـ تاريخ الأدب العربى : أحمد حسن الزيات ، دار نهضة مصر للطبع والنشر .

١٣ـ تاريخ الأدب العربى العصر الإسلامى : شوقى ضيف ، الطبعة الثامنة عشر ، دار المعارف .

١٤ـ تاريخ الأدب العربى : عمر فروخ ، الطبعة الرابعة ١٩٨١م ، طبعة دار العلم للملايين .

١٥ـ تاريخ الأدب العربى : كارل بروكلمان ، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار القاهرة ١٩٥٩م .

١٦ـ تاريخ الشعر السياسى إلى منتصف القرن الثانى : أحمد الشايب . الطبعة الثانية ١٩٥٣م .

١٧ـ تاريخ العلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربى : دار الكتابى اللبنانى ، بيروت ، لبنان ـ ١٩٨٢م .

١٨- التصوف فى الشعر العربى : نشأته وتطوره حتى أخر القرن الثالث الهجرى- عبد الحكيم حسان ، القاهرة ١٩٥٤م.

١٩- تفسير العلامة أبى السعود ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، دار الفكر .

٢٠- تهذيب التهذيب : تأليف أبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، نسخة مصورة عن طبعة - حيدر أباد الدكن ١٣٢٦هـ فى دار صادر بيروت ١٩٦٨م.

٢١- جامع البيان فى تفسير القرآن : تأليف أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

٢٢- الجامع لأحكام القرآن : أبى عبد الله بن أحمد القرطبى ، الطبعة الأولى ١٩٣٩م ، مطبعة دار الكتب المصرية .

٢٣- جمهرة أشعار العرب تأليف أبى زيد بن أبى الخطاب القرشى دار صادر- بيروت .

٢٤- حسن الصحابة فى شرح أشعار الصحابة ، جبابى زاده على فهمى ، مطبعة سى ، ١٣٢٤هـ.

٢٥- حضارة الإسلام : تأليف الأستاذ جوستاف ا.فون جرونيباوم ، نقله إلى العربية الأستاذ عبد العزيز جاويد ، راجعه الأستاذ عبد الحميد العبادى ، نشرته مكتبة مصر للطباعة .

٢٦- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : عبد القادر البغدادى ، تحقيق عبد السلام محمد هارون- مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٧٩م.

٢٧- دور الشعر فى معركة الدعوة الإسلامية : عبد الرحمن خليل ابراهيم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٩٧١م .

٢٨- ديوان أبو ذؤيب الهذلى : نشر يوسف هل الألمانى ط هـ توفر لها نيس لا فاير سنة ١٩٣٩م ، طبعة دار الكتب المصرية .

٢٩- ديوان أبى مِحْجَن الثَّقَفى : صنعة أبى هلال العسكرى (٣٩٥هـ) نشره صلاح الدين المنجد ، الطبعة الأولى ١٩٧٠م ، دار الكتاب الجديد ، بيروت .

٣٠- ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت : تحقيق نعمان محمد أمين طه ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة .

٣١- ديوان الفرزدق - طبعة القاهرة .

٣٢- ديوان كعب بن زهير : طبعة دار الكتب .

٣٣- ديوان كعب بن مالك الأنصارى : دراسة وتحقيق سامى مكى العانى ، الطبعة الأولى ١٩٦٦م ، مطبعة المعارف - بغداد .

٣٤- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى : العلامة المرحوم أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود شكرى الألوسى البغدادى ، إدارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربى - بيروت ، لبنان .

٣٥- سيرة أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبى : دار المعارف بمصر ١٩٥٧م.

٣٦- السيرة النبوية لأبى محمد عبد الملك بن هشام (٢١٨هـ) قدَّم وعلَّقَ عليها وضبطها : طه عبد الرءوف سعد ، دار الجيل بيروت - ١٩٧٥م.

٣٧- شاعر الدعوة عبد الله بن رواحة : تأليف عبد المقصود محمد شلقامى ومصطفى كامل مصطفى ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م مؤسسة بدران للطباعة والنشر والتوزيع .

٣٨- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامرى: تحقيق إحسان عباس ، الكويت١٩٦٢م.

٣٩- شرح شواهد المغنى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (٩١١هـ) تحقيق أحمد ظافر كوجان - لجنة التراث العربى دمشق ١٩٦٦م.

٤٠- شرح قصيدة (بانت سعاد) عبد اللطيف البغدادى ، طبعة دار الفلاح الكويت

٤١- الشعر الأموى : دراسة فى التقاليد والأصالة الأدبية ، محمد فتوح ا، الناشر مكتبة الشباب ١٩٨٣م.

٤٢- الشعر الجاهلى منهج فى دراسته وتقويمه : محمد النويهى ، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة .

٤٣- الشعر العربى بين الجمود والتطور : محمد عبد العزيز الكفراوى ، دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٩٦٩م .

٤٤- الشعر والشعراء : تأليف أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .

٤٥- شعر النابغة الجعدى : عبد العزيز رباح ، منشورات المكتب الإسلامى دمشق ، الطبعة الأولى ١٩٦٤م.

٤٦- الصراع بين الإنسان والطبيعة فى الشعر الجاهلى : محمد محمد الكومى .

٤٧- صفوة الصفوة : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (٥٩٧هـ) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن الهند ، الطبعة الأولى ١٣٥٥هـ .

٤٨- طبقات فحول الشعراء : تأليف محمد بن سلام الجمحى (٢٣١هـ) قرأه وشرحه محمود محمد شاكر ، مطبعة المدنى .

٤٩- العمدة فى صناعة الشعر ونقده : تأليف أبى على الحسن بن رشيق القيروانى، تحقيق مفيد محمد قميحة ، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان .

٥٠- عيار الشعر: أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن طَبَاطِبَا العلوى (٣٢٢هـ) تحقيق طه الحاجرى ومحمد زغلول سلام ، شركة فن الطباعة ، القاهرة ١٩٥٦م .

٥١- الفائق فى غريب الحديث : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى ، تحقيق أبو الفضل ابراهيم وعلى محمد البيجاوى ، الطبعة الثانية ، مطبعة عيسى البابى الحلبى .

٥٢- فى الشعر الإسلامى والأموى : عبد القادر القط ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٩م .

٥٣- قيم جديدة للأدب العربى القديم والمعاصر : عائشة عبد الرحمن ، بنت الشاطئ ، القاهرة ١٩٦٦- ١٩٦٧م .

٥٤- لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور (٧١١هـ) نسخة مصورة عن طبعة بولاق - بإشراف الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٥٥- المؤتلف والمختلف : أبو القاسم الحسن بن بشر يحيى الآمدى (٣٧٠هـ) تحقيق عبد الستار أحمد فراج دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦١م .

٥٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : الحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى (المتوفى سنة ٨٧هـ) بتحرير الحافظين الجليلين العراقى وابن حجر ، منشورات دار الكتاب العربى ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٥٧- مختصر سيرة ابن هشام (السيرة النبوية) إعداد محمد عفيفى الزغبى ، مراجعة عبد الحميد الأحدب ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٥٨- المدائح النبوية فى الأدب العربى : زكى مبارك ، دار الشعب .

٥٩- مضمون المدحة النبوية رمن البعثة : أحمد محمد النجار ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير .

٦٠- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها : للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطى شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق على حواشيه : محمد أحمد جاد المولى بك ، وعلى محمد البيجاوى ، ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الثالثة ، مكتبة دار التراث .

٦١- المفصل فى تاريخ الأدب العربى : الإسكندرى وأحمد أمين وعلى الجارم ، مكتبة الآداب القاهرة ..

٦٢- ملامح العبقرية وشواهد الإبداع فى الشعر الجاهلى : دراسة أدبية نصية تحليلية نقدية أ.د / عبد الله حسين على سليمان ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م ، المكتب العربى للطباعة .

٦٣- الموازنة بين أبى تمام والبحترى : تصنيف الإمام الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى البصرى المتوفى فى عام (٣٧٠هـ) تحقيق السيد أحمد صقر .

٦٤- الموشح لأبى عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى : الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ ، المطبعة السلفية ، القاهرة .

٦٥- نهاية الأدب فى فنون الأدب تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى (٦٧٧ - ٧٣٣هـ) نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب وزارة الثقافة والإرشاد القومى المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطابع كوستاتسوماس وشركاه .

٦٦- الهجاء والهجاءون فى الجاهلية : محمد محمد حسين ، الطبعة الثالثة ١٣٨٩هـ ١٩٧٠م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت .